رواية

علي بك الكبير

أو

دولة المماليك

تأليف

احمد شوقي بك

obeikandl.com

لمناسبة انعقاد مؤتمر الموسيقى الشرقية في القاهرة هذا

العام بفضل اهتمام مضرة صاحب الجلالة الملك

فؤاد الأول

عملت هذه الرواية تحت تصرف اللجنة العليا للمؤتمر لتعرضها وما اشتملت عليه من القطع الغنائية والمواقف الملحنة على مضمار المؤتمرين ضمن ما يعرض عليهم من النماذج عن جهود مصر الحديثة في الفنون الثمانية . التأليف القصصي . والتمثيل . والتلحين ؟

١٤ مارس سنة ١٩٣٢ احمد شوقي

تمهيد

(١) زمن الرواية :

حوالى سنة ١٧٧٠ ميلادية

(٢) مكانها :

الفسطاط والصالحية وعكا

(٣) أشخاصها :

على بك الكبير	حاكم مصر ويلقب بشيخ البلد
محمد بك ابو الدهب	متبنى على بك والخارج عليه ومن أمراء المماليك
مراد بك	من أتباع على بك وأولاده
ظاهر العمر	صاحب حصن عكا وحليف على بك
مصطفى اليسرجى	« الجلاب »
آمال شمس زكيه	إماء معروضات للبيع

obeikandl.com

عشاق	شاب شركسى مع الجلاب
ام محمود	الماشطة والواسطة فى بيع الجوارى
رزق الوكيل	وكيل على بك
بشير بك	من أصحاب على بك
عثمان بك	« محمد بك

قائد الأسطول الروسى فى عكا

أمراء

جواسيس

قـواد

جنـــد

فتيـات

أغـوات

خـــدم

obeikandl.com

الفصل الأول

فى

قصر على بك الكبير

« حجرة من القصر واسعة فخمة على الطراز الشرقى ، مفروشة بنفيس »
« الطنافس قد نثرت فيها الوسائد والصفف وزين سقفها بثريات الزجاج الملون »
« المشكل وركزت فى زوايا أرضها الشمعدانات الكبيرة . . »

« جلس هناك فى انتظار دخول على بك الكبير مصطفى »
« اليسرجى « الجلاب » ومعه ثلاث فتيات شركسيات « آمال » »
« و« شمس » و« زكيه » وشاب شركسى اسمه عشاق من جنسهن »
« وقرابتهن وام محمود الماشطة »

زكيه : يا أمَّ محمودَ تلك دنيا ... وهكذا فلْتَكُنُ القُصورُ

وهكذا شمس فى الليالى ... تنزل هالاتِها البدور

قصرٌ سماواتُه الثريا ... وأرضه الوشىُ والحريرُ

ام محمود : ونحنُ يا شمس نحن بؤسٌ ... بيوتُنا الجِصُّ والحَصيرُ

نُنْقَلُ من حُفرةٍ لِلَحْدِ ... تساوت الدورُ والقبورُ

شمس : يا أم محمود خبّرينى ... أههنا ينزلُ الأميرُ

ام محمود: أجل

شمس : ومن ذا وما يُسمّى ؟

أم محمود : سلطان مصرٍ على الكبير

شمس : والطِيبُ يا أمُّ لم تَشُمّي النَدُّ والمسكُ والعبيرُ

مصطفى : لا تعجبي هم ملوكُ مصرٍ دنياهمُو الطيبُ والبَخورُ

زكيه : وما الأميرُ يا يسرجي ماله من العُمُرُ

مصطفى : قد جاوز الشبابَ الاّ أنه كهلٌ نضِر

أم محمود الماشطة :

ما بلدُ العزّ غيرُ مصرٍ كيف طَعِمتُمنّ يا بناتُ

شمس : طعامُ شاهٍ طعامُ عُرسٍ لم يَرو أمثالَه الرواةُ

ما القصرُ ما الفرشُ ما الأوانى

ما الأكلُ ما الشربُ ما الطهاةُ

مصطفى : هذا هو المُلكُ مُلكُ مصرٍ وهكذا الحظُّ والهِباتُ

وأنتِ آمالُ ؟

آمال : خلّيانى ما تلك الا خُزَعبلاتُ

القصرُ كوخى على جبالٍ جلّلها الثلجُ والنباتُ

اذا عوى الذئبُ من مكانٍ أجابَه الكلبُ والرُّعاةُ

زكيه : أجل حَنَنًا لاجبالِ الشيبِ والشتاءِ القارسِ العصيبِ
وكلِّ راعٍ واقفٍ للذيبِ أمَّن خوفَ الحملِ الرعيبِ
تلمحُه كالعلمِ المنصوبِ والوعلِ فى الجيئةِ والذهوبِ
والديدبان فى فم الدروب

مصطفى : بخ بخ مرحى يا كَوْمَةَ الشحمِ
يا جَزْرَ بلوطٍ لكن من اللحمِ

أم محمود : أعرفتَ يا جلاب أنك جئتَ بالحمل الثقيلِ
عن تلك كان لنا غِنًى ما تلك الا سقُط فيل

مصطفى : يا أمَّ محمودَ اقصدِى لكل سلعةٍ ثمن
إن سُراةَ الناس فى مِصرَ يحبون السِمَنْ
وهذه الكَوْمَةُ فيها سِمَنٌ لكن حَسَنْ

« يسمع آذان العصر بصوت شجى من محراب في دار الامارة فتلتفت »

شمس بأم محمود وتقول :

شمس : ما هذه الرنّه في قبة القصر

زكيه : صوت من الجنّه يهتف بالعصر

أم محمود : ما زالت السُنّه والبرّ في مصر

يا ربّ أيّدها بالعز والنصر

شمس لعشّاق:

قم غنّ يا عشّاق أغنية المعّاز

وناجِ بالأشواق أحبّة القوقاز

عشّاق يغني: كوخٌ وراء الجبالِ مُكلّسٌ بالجليدِ

فديتهُ لا أبالي بكل قصرٍ مَشيدِ

ما مرّ يوماً ببالي الا بللتُ خدودي

***

يا منزلَ القوقازِ عِمْ من بعيدٍ صباحَا

لمعتَ لمعةَ بازي في الجوّ سلّ الجناحا

سلّم على المعّاز اذا غدا أو راحا

***

obeikandl.com

وقـل له يا راعى فى النايِ هاتِ الأنينا
اسمع على البعد راعِ صوتاً من الغائبينا
هل أنتَ للعهد راعِ أم قد تركتَ الحنينا

« بعد صمت وأطراق من الجميع »

ام محمود للبنات :

تعالَيْن بنات الشركـ ـس الغيدَ تعالَيْنَا

زكيه : ولِمْ ؟ ماذا ؟

ام محمود : تعالَيْنَ تَرَكْنَ يدى زَيْنَا
فلا أتركُ لا شعْرا ولا خدًّا ولا عيْنَا

ام محمود لشمس :

تعالَىْ أيها الشقرا وهاتِ شعرَكِ التبرى
هَلُمّى اقـترِبى منى وألقى الرأسَ فى حجرى
غداً يأخذُكِ الشارى وما تدرينَ من يَشرى

ام محمود لآمال :

تعالَىْ أيها السمرا فانّ الخيرَ فى السُمْرِ
أشَعرٌ ذاك آمالٌ أم الليلُ اذا يَسْرِى

قضاك الله للوالى أو الحاكم فى مصر

آمال فى غضب :

دعينى مرأة السوء دعينى بومة الشر

قضاك الله للجوع وللسجن وللقبر

ام محمود لمصطفى :

ياسيدى النحاس هذه ضبع فارجع بها لاتشرها ولاتبع

الا اذا ساومنا فبها سبع

آمال الى صاحبتيها :

قوما اليها

شمس : وأنت ؟

آمال : لا . لا أحب الفضولا

علىّ ثوب جمال ما احتاج يوماً ذيولا

شمس : ما الخطب ؟ مم غضبت آمال

زكيه : ما بالها ساخطة ما بال

أم محمود : غبية ما عرفت ما المال

مصطفى همساً لشمس :

شمس .

شمس : يسرجى

مصطفى : أنظرى آمالُ ماذا غمَّهـــا

ميلى اليها وخُـذى فيما يُسرِّى همَّهـــا

آمال : بل الحقُّ معى وَخُذى وأنتنَّ الغبـــيَّاتُ

سوامٌ نحنُ أم نحنُ نفوسٌ ادميـــاتُ

أم محمود لزكيه :

وأنتِ يا ضخمةُ يا بدينه يا محملا يخطرُ فى المدينه

قومى الىَّ أتبلى للزينه رُزقتِ عمدةً بلا قرينه

ثروتُه في داره دفينه يطلُبُ منا أمرأة سمينه

مصطفى : يا أمَّ محمودَ أرَى آمالَ جـــدَّ مُغضَبَةَ

هائجـــة صاخبةٌ ثائرة مقطِّبَـــة

فى وجهها تكاد تبدو نفسها المعَـــذَّبَةَ

مصطفى لآمال :

آمالُ بنتى استريحى وقـلِّلى التفكيرا

لا تحملى همَّ شىءٍ دعِى لِىَ التدبيرا

عسايَ أغنمُ مَلْكاً أو استفيدُ أميرا
فتحكمينَ بمصرٍ وتنزلينَ القصورا
مُلْكُ الجمالِ كبيرٌ زيديهِ مُلْكاً كبيرا
صوني جمالَكِ هذا عن أنْ يعيشَ فقيرا

آمال: يا أبي ما تُريدُ بي أنتَ تلهو وتلعبُ
ملكةٌ أو أميرةٌ أبهذا القبُ
حُلُمٌ ثم ينقضي وآمالٌ تكذبُ
كيف تسمو الى العلا ابنةٌ باعَها الأبُ

ثم مستمرة: أبي تاجرْ كما شئتَ وكيف اردتَ فاحترف
ولكن لا ترُم بي ولا في هذه الغُرَفِ
فبيعُ الجنسِ فاحشةٌ أليسَ كذلكَ اعترف
أبي شرفٌ على فقرٍ ولا فقرٌ الى الشرف

مصطفى لنفسه:

يامالُ ما فيكِ من سحرٍ ومن خَطرِ
لقد نزلتَ بنا عن رتبةِ البشرِ
تاجرتُ بالجنسِ حتى صارَ محتقرا
عند الشعوبِ وما جنسي بمحتقرِ

ذهبتُ بالشركس الآسادِ أعرضهم
عرض الرعاةِ صغارَ الشاءِ والبقر
لولاكَ ما بعتُ أطفالى فما كبدى
من الحديد ولا قلبى من الحجرِ

مصطفى يقبل على آمال :

طفـــلةٌ آمالُ أنتِ أنتِ ما تدرينَ شيّا
ههنا الدنيـــا ومُلكٌ لكِ فى الدنيـــا تهيّا
آمال : خـــلِّ عنك المُلْكَ والقصرَ ولا تذكر عليّا
إن ما تصنعُ بى قـــد بغّضَ الدنيـــا اليّا

مصطفى لنفسه :

ربِّ جنّبنى شبابَ ذا البلد لا يُصبنى منهمو ربٌّ أحد
لى أخٌ فى أرضِ مصرٍ باعه والدى لم يخش من بَيْعِ الولد
رَكِبَ الآفاقَ فرخاً ما له من جناحِ الأبِ والأمِّ سَنَدْ
فجمعَ القريةَ فيه وسقَى أمَّه الثُكلَ فماتت بالكمد
لستُ أنسى عبراتٍ إثره قد جرَتْ شيّعنه حتى ابتعد
وهو يُومى بيدٍ من رقةٍ وأبى من غضبٍ يومى بيد
ربِّ ماصارَ الى أينَ انتهَى أهو فى الحيلِ لوالٍ أم وتَدْ

يوسف المسجود فى مصر له أم من الجوع ليوسف سجدْ

زكيه : وأينَ بَنُو السلطان لم لا نراهمو
أليسَ له ابنٌ يغتدى ويروح
يرَفُّ الشباب الغضُ من طيلسانه
وينفُخ ريحانُ الصبا ويفوح

شمس : فلا خير فى دارٍ اذا لم يطُف بها
نسيمُ شبابٍ أو شعاعُ جمال
ولا خيرَ فى روضٍ بغيرِ بهارةٍ
ولا خير فى قاعٍ بغيرِ غزالِ

مصطفى : أجل له ابنٌ

شمس : ما اسمُه ؟

مصطفى : محمد العالى النسبْ

شمس : لعله ابو الذهبْ ؟

زكيه : لله ما أحلى اللَّقب
ففيه رنة الذهب

مصطفى : متبنَّى الأمير والمُتبنَّونَ بهذى البلاد كالأبناءِ

نعتوه لنا فقالوا أميرٌ أريحيٌّ من صفوة الأمراءِ
تُندقُ الألسُن المديحَ عليه وتفيض الشفاه حُسنَ الثناءِ
مَلِكٌ سابقٌ الى كلِّ فضلٍ نابغ الغرسِ عبقريُّ البناءِ

ثم مستطرداً: وأنتِ يا أمَّ محمودَ ما الذى تعلمينا

ام محمود: محمدٌ ليس برًّا ولا وفيًّا أمينا
بالأمسِ عقَّ أباهُ فكان شرَّ البنينا
واليوم يشهر حرباً على الأميرِ زبونا

وأما أخوه

زكيه: كيف مَنْ؟ هل له أخ؟

ام محمود: أجل وهو أيضاً لم يلده أبوه

زكيه: اذن فعليٌّ والدُ الناسِ كلِّهِم
وكل شباب الضفّتين بنوه
وكيف الفتى يا أم محمودَ ما اسمه؟

أم محمود: غلامُ وضيءُ المفرقينِ جوادُ
رأيتُنَّه مثلى تذكّرن ساعةً رأيناه

شمس: مَنْ؟ ما اسمُ الأمير

أم محمود : مراد

ام محمود لآمال :

هنـــــاكِ آمالُ ابنتي هنَاكِ

آمال . ما ذاكِ يا أمُّ اذكِري ما ذاكِ

أم محمود : الحظ يا بنتاه قـــــد أعطاكِ

عُشِقتِ عِشقاً سوفَ يُروى في السيَرْ
عِشقٌ له في مِصرَ والشرقِ خَطَرْ
وعاشِـــــــقٌ عالي السناءِ كالقمَرْ

آمال : يا أمَّ محمودَ هـــــذيتِ ما الخبَرْ

أم محمود : لقِيتُ مراداً أمسِ

آمال : ماذا يهمُّني ؟

أم محمود : عجيبٌ الا يعنِي النســـاءَ مرادُ

فتًى عَلَمٌ في مصرَ في الشرق كُلِّه

نبيلٌ كأبنـــــاءِ الملوكِ جوادُ

يحبُّ عليًّا جهـــــدَه ويُحبُّه

عليٌّ فبـــــين السيدين وِداد

كأنى به نال الولايةَ وانتهتْ
اليه أُمورٌ فى غـــدٍ وبلاد
يُحبّكِ يا آمالُ حُبًّا مُبرِّحًا
على مثـــله ما انضمّ قطُّ فؤاد

زكيه : عرفتُه

آمال : ومَن ؟

زكيه : فتًى أمسِ الى السوقِ حضَر
ذاكَ الخفيفُ كالقنا ة والوضيءُ كالقمَر
أتى لنـا أمسِ فما اختصّ سواكِ بالنظرْ

آمال : عرفتُه ذاكَ الوَقاحُ فى دعابه الهـذرْ
ذاكَ الذى قلّبنا أمسِ كتقليب الحُصُر

شمس : وكنتِ أنتِ قبلَة الـ لحظِ وموضعَ الفِكَرْ

أم محمود : وأنتِ كنتِ وزكيةَ الحصيرَ المحتـقر

آمال : أو ذاكَ الذى تقولين يهوانى

أم محمود : أجل وهو أرفعَ الناسِ قدرا

هُنِّئْتِ صبحٍ هُسْ انظرا ها هو ذا قد حضرا

« يدخل مراد باك »

مرادبك عند الباب لنفسه :

ويحَ لِي ربِّ ما أرى أمَّ محمـ ودَ إلهى وهذه آمالُ

هى فى القصر كيفَ جاءت اليه

كيف وافاهُ مصطفى المحْتال

أتُراها قد حازها لعلىٍّ جبر الجاه واحتواها المالُ

كيفَ هل بعدُ فى فؤادِ علىٍّ

موضعٌ يحتوى عليهِ الجمالُ

ربِّ مالى أهابُها كلما قمتُ ومالى يُرِدُّنى الإجلالُ

وانا الذئبُ لم تُسلَّط على قلبى

مَهَاةٌ ولم يُسيْطِرِ غزالُ

ثم لام محمود ومن معها :

سلامٌ امَّ محمودٍ سلامٌ يا بُنَيّاتى

أم محمود : سلامٌ لك مولاىَ

زكيه : وعلوىُّ التحياتِ

مراد باك ويشير الى آمال : أم محمود ما لَها ما لتلك المحبّبَة

أم محمود : مالها سيدى

مرادبك : انظرى كيف تبدو مقطّبه
لقيتنى غلام تقوم بلقائى مرحّبه
مالها اليوم مثل عهدى بها أمس مغضبه

أم محمود : سيدى قد ظلمتها إن بنتى مهذّبه
غير أنى وجدتها مذ بدا الصبح متعبه

شمس : معذرة يا سيدى لأختى المعذّبه
نحن النهار كلّه كالسلام المقلّبه

مرادبك: مصطفى

مصطفى فى ناحية وحده : سيدى

« لنفسه » ! ذا مراد
ويحه ما أضلّه فيم جاء

مرادبك : مصطفى هل نسيتَ أنّا التقينا
عند سوق الرقيق أمس مساء

مصطفى : سيدى ما نسيتُ واليومَ نستأ
نِفُ فى حجرة الأمير اللقاء

مرادبك: والتي اخترتُ من ظبائك

مصطفى : نرجيها الى أن يرى الأميرُ الظباء

مرادبك: أترى ما تزالُ تأبى

مصطفى : أجل

مرادبك: ويحكَ هل يملكُ الرقيقُ الإباء

آمال : سيدى مَنْ عنيتْ؟قل لى بمن عرّضت

مرادبك: أعنى المليحةَ الحسناء

آمال : سيدى إننا حرائرُ ما زلنا

مرادبك: ولكن غداً تصرنَ إماء

آمال : وغداً سيدى عليه غطاء

أترى عن غدٍ كشفتَ الغطاء

مرادبك: قُمْ مصطفى هذه الحسناء تُعجبُنى

أليس يكفيكَ فيها الف دينار

مصطفى : ألفٌ؟ قبلتُ

مراد بك: إذن تأتيكَ كاملةً

فاخرج ببنتِك واحملها الى دارى

آمال : أبى . أنت تمضى بى وتحملنى

كالشاةِ هذا لعمرى أعظمُ العار

مصطفى : آمال

آمال : قف أنت عبدُ المال يا أبتى

تُلقى البرىء لأجل المالِ فى النار

لا سيدى لا أبى لا تذكرا ثمناً

فلستُ مخلوقةً للبائع الشارى

مصطفى لنفسه :

رباه أعظمُ من وجدى ومن شفقى

على إبنتى اليومَ إعجابى وإكبارى

وأنتَ تعلمُ والأفعالُ شاهدةٌ

أن ابنتى حُرَّةٌ من نسلِ أحرار

يا ألفُ سحقاً و يامالُ أمضِ من سُبُلى

تقطعت منك أسبابى وأوطارى

« ثم لآمال :

آمالُ هيِّ اذكرى لى كيف أدفعه

« ثم لنفسه : ماذا أقولُ فإنى لستُ بالدارى

آمال : أبى أما نحنُ فى دار الأمير على

إنى لجارةُ حُرٍّ مانِع الجارِ

لا أبرحُ القصرَ الا عن مشيئته

فحُكمُه هو فىّ النافذ الجارى

مرادبك: ويحَ لى قد رُددتُ أقبح رَدّ

وأبَتْ أن تُجيبنى الحسناء

« مصطفى: سنرى من يفوز بالبنت يا وغدُ

« لآمال : ومن يقتنيكِ يا حمقاء

« ويخرج مراد بك »

آمال لنفسها :

ما بالُ قلبى بمرادٍ مُذْ تلاقيْنا اشتغل ؟

لعلّنى أحْبَبْتُه لا . لا فمالى والرجُل

عسايَ قد همتُ به هذا لعمرىَ الخَبَلْ

خيـاله فى فـكرتى فى كل سـاعةٍ مَثَلْ
مالى أحِسُّ لاعجا بين الجوانح اشتعل
إن فُتِح البابُ يُرى أولَ أنسانٍ دَخَـلْ
أو جىء بالزاد وجـــدتُه بجانبى أكل
وإن شربتُ حَضَر الماء فعـلَّ ونَهـلْ
(قد أخَـذَتْ صورتُه على مشاعرى السُّبُـل)
وحيث سرتُ طاف بى وأينما حللتُ حـلْ

ام محمود تنظر الى الباب وتقول :

أرى الأبوابَ قد فُتِحت وأسمَعُ وقع أقـــدامِ

مصطفى : عـــلىٌّ جاءَ قُمنَ له بأجـــلالٍ وإعظـامِ

يدخل على بك وفى حاشيته رزق الوكيل . . الاغا مرجان . بعض الخدم

على بك : أضعنا نهـارَك يا مصطفى أطلنا انتظارَك لا عن جفا

مصطفى : بباب الأميرِ ولىِّ النِعَمْ يطيبُ الوقوفُ لأوفى الخَدم

على بك :

أضعفنا نهارك يا مصطفى أطلنا انتظارك لا عن جفا

على بك مساء لمصطفى :

يا مصطفى قد بقى ... من سنوات ولدا

مصطفى : أجل صبيٌّ كان من ... أذكى الصغار عقلا

على بك : ما أرتبتُ فيه ساعةً ... أن سيكونُ سيدا

مصطفى : عاش أبوه لا أرى ... أباهُ الا أبدا

على بك : ولكنه لم يَدْرِ فى البلاد ... ولم يعرف الناس حتى فنَدْ

فسلَّ الحُسامَ ومزَّ القناةَ ... وأصبح عزيزَ هذا البلدْ

مصطفى : ذاكَ ذئبٌ لم أبسهُ ... جلسَ غيرى باعه

بئسَ ما باعوكَ يا مولاىَ يا شؤمَ البضاعه

على بك: وأينَ البنيّات ؟

مصطفى : هاهُنَّ قُ ... مْنَ وقاراً للولاىَ فى المجلس

على بك: تخيَّرَ الحسنُ قبلى ... فكيف كيف اختيارى

« شهرزق: يا رزقُ ما أنتَ راء

رزق الوكيل : ... كذا تكونُ الجوارى

ام محمود : بل قل ثلاثُ شموسٍ ... تنزّلت فى نهار

على بك مازحاً :

من أنتِ يا شرَّ وجهٍ ومن أحلَّكِ داري

ام محمود : أنا يا مولاى حسنى الماشطه أنا فى أمر البنات الواسطه

لنفسها : آه من لى بحياةٍ ثانيه ليتنى أرجع يومًا غانيه

ليتنى يا ليتنى يا ليتنى آه لو ينفع قولى ليتنى

ام محمود تأخذ يد شمس وتأتى بها :

فهذى كاسمها شمسٌ ولكن حُسنُها أحسَنْ

على بك: تعالَى اللهُ ما أبهى تعالَى اللهُ ما أفْتَنْ

« ثم ترجع شمس وتأتى بزكيه »

ام محمود : وهذه زكيه

على بك معرضاً عنها ومشيراً الى آمال :

وهذه الحوريّه ؟

ام محمود : مهاةٌ فداها الغيدُ من شركسيةٍ

لها سيرةٌ عند الملوكِ تدارُ

اذا برزت ودَّ النهارُ قميصَها

يُغيرُ به شمسَ الضحى فتغارُ

وإن نهضتْ للمشي ودّ قوامها

نساءٌ طوالٌ حولها وقصارُ

لها مبسمٌ عاشَ الخليجُ لأجلهِ

وعاشتْ لآلٍ في الخليجِ صغارُ

على بك: ما اسمُ هذي الفتاةِ

ام محمود: آمالُ الحسناءُ

على بك لآمال: آمالُ كيفَ ألفيتِ قصري

آمال: جنةُ اللهِ يا أميرُ على الأرضِ ولم لا ألستَ سلطانَ مصرِ

على بك: وهذا الوشيُ والديباجُ ما موقعُهُ منكِ؟

وهاتيكَ المصابيحُ من الباذورِ والسلكِ

وهذا الخشبُ المصنوعُ بالصندلِ والمسكِ

لقد طُفتِ على فارسَ والقوقازِ والتركِ

وأدخلتِ قصورَ العزِّ والثروةِ والملكِ

فهل أبصرتِ ما يُشبهُ هذا الصُنعَ أو يحكي؟

شهبندرا : وكل ما أبصرت في قصري من صُنع البَلَدْ
فليس يعلو الصانعَ المصريَّ في الذوق أحَدْ

آمال : لا عجبٌ مولايَ يا طالما قد بلغَ الفنُّ بمصرَ الكمال

علي بك : لكن أرى القرقاز أهل يدا مَنْ غيرُه يصنعُ هذا الجمال؟

آمال : سيدي

مصطفى هنا :

حاذري ابنتي قدَّري المو قفَ لا يخطر الشقوقُ ببالك

آمال : لا أبي خلِّني أبُحْ أشكُ بثِّي خذلَ الصبرُ قلبيَ المتمالك

« علي بك : سيدي

علي بك : ما أرى ؟ دموعٌ لآلٍ ذهبتْ في الخدود تشتَّى المسالكْ
مِمَّ تشكين يا ابنتي ماوراءَ الدمع ؟

آمال : لا شيءَ

علي بك : بيِّني ما هنـــالك

آمال : سيدتى غيرُ شأننا يا بك أولى

هذه السوقُ لا تليقُ بجلالك

تُشترى النفسُ أو تُباعُ على الأرض ولم يرضَ في السماء المَلَك

مصطفى : قلِّلى الهمَّ يا ابنتى والتشكى

وانظرى الحالَ وافكرى بعقلك

هذه السوقُ نعمةُ الوطن البائس منها

على بك: ونحنُ نسلمُ ذلك

أنا أيضاً مررتُ بالسوق يا أما

لُ حالى يا بنتُ من مثل حالك

قد وقفنا بهذه السوق نبغى دولا من ورائها ومعالك

وقديماً كانت سبيلَ المعالى للمماليك أو سبيلَ المهالك

« ستمرا: لك الله يا آمالُ أنت كبيرةٌ

وكلُّ كبير النفس سوف يسود

فداؤك نفسى هذه نفسُ حرةٍ

وهذا إباء ما عليـــه مزيد

أتيتِ بما لم يأتِ فيما مضى لهم
ملوكٌ على عرشِ الكنانة صيد
شرونا وباعونا صغاراً وفتيةً
كما بيع سودانٌ بمصرَ عبيد
فما كان منا من رأى الرِّق سُبَّةً
ومن قال عند البيع لستُ أريد

ثم مستمراً : الخطبُ غيرُ عظيمٍ لا تحزني يا فتاةُ
وكلُّ جرحٍ يُداوى إن عالجته الأساةُ

آمال : مولاى قالوا رُزقتَ نفساً فضائلُ الصالحينَ فيها
بأىِّ دينٍ تحوزُ رقّ وتشترى البنتَ من أبيها

على بك : أبوكِ

آمال : أجلْ والدى

على بك : مصطفى أأنت أبوها

مصطفى : أجلْ سيدى

على بك : فماذا ترى

obeikandl.com

مصطفى : فى يديك الفتـــــاة

تصرّف لقـد خرجت من يدى

على بك : دعْ البيعَ يا مصطفى والشراءَ

وزوّج فتـــــاتكَ أو فاردُدْ

مصطفى : بمَنْ ؟

على بك : بى

مصطفى : إلهى !

على بك : أجـــــل بى أنا

مصطفى : سمعتِ فتـاتى اشكريه احمدى

آمال : علامَ أجربته بعدُ ؟ لا سأعلمُ ما صاحبى فى غـد

على بك : لم تقبلى الرق منذ حينٍ يا لكِ من حرةٍ نبيله

والآن تخشينَ من زواجٍ تمشينَ فى ظلّه ذليله

آمال

آمال : مولاى

على بك : هالكِ قصرى سوسيه بالنُّبل والفضيله

obeikandl.com

ام تمود : تحيـــــةٌ للملـــكه من أمّة فى الملـــكه

مصطفى : أقبِّلُ ســـــترَ مولاتى

آمال : أبى أســـــتغفرُ اللهَ

على بك : وأنتِ الملـــكةُ اليـومَ مُرى وانهَىْ على الدارِ

وحُلّيهـــــا حُلولَ الشـ ـمس فى أرجاء آذار

وكونى قفلَ أموالى وأذخارى وأسرارى

ولا يهمُسْكِ ترحالى ولا تشغلْكِ أسفارى

فللمغنمِ والصيـــــدِ خفوفُ الأسـدِ الضارى

وللرفعـــــةِ والمجدِ سفار القمـر الســارى

آمال : مولاىَ هاتِها يداً قد طوّقتنى خيرَ يدْ

هاتِ أضَعْ فى راحتيْـــــكَ قبلاً بلا عدَدْ

مصطفى : يا للجلالِ والخطرْ ويالتوفيق القدَرْ

من البشيرُ بالخبرْ الى البيوتِ والأسَرْ

حظُّ لمصرى قد كمَلْ فمن يُبلِّغ الجبلْ

وكلُّ دارعٍ نزَلْ على الشعاب والقُلَلْ

أنا ظفرنا بالأمل

أم محمود : قمن بنات الشركسِ للّهو والتـــأنسِ
زدنَ سرورَ المجلسِ برقصكُنَّ الخمسِ

شمس : عُشّـــاقُ ماذا أخّرك لِمْ لَمْ تجردْ خنجرك
قم لاعب الغيدَ نَرَكْ كيفَ تخوضُ المعترك

عشاق : غـدا يُقـدُ للوالى على الحسنـاء آمالِ
جبالَ الشركسِ اختالى بهـذا النسب العـالى
هلمُّوا الفرحَ الأكبَر هلمُّوا رقصـةَ الخنجر
غـدًا يمتلئُ الوادى من الحاضرِ والبادى
فمن طالب أفراحٍ ومن شـاهد أعيادِ
هلموا الفرحَ الأكبر هلموا رقصـةَ الخنجر
غـدا يبتهجُ العصرُ وتُمسى فرحا مصرُ
وتُجلى الشمسُ والبدرُ ويزهو بهما القصرُ
هلموا الفرحَ الأكبر هلموا رقصـةَ الخنجر

هتاف خارج القصر :

لا زلتَ منصورَ القنـا يا أســـد المعـاركِ
أطعمتنَـا ســـقيتنَا يا ربِّ زِدْ وبـاركِ

على بك : اسمعوا

رزق : ضجّةٌ

الاغامرجان: أجلْ وابتهالٌ ورجالٌ بسيدى يهتفون

على بك : من ترى الهاتفونَ رزقُ و يامرجانُ أُخرج فانظر مَن الصاخبون

الأغا : عادةٌ تلك كلَّ يومِ خميسٍ عندنا ألفُ جائعٍ يطعمونا

على بك : امضِ فاجعل فى كفِّ كلِّ فقيرٍ
ذهباً يُطعمون منه البنينا

نفحةٌ من أميرة النيل مولاتِك

آمال : بل منك سيِّدَ المحسنينا

رزق : مولاى

على بك : من ؟ أَوَ رزقٌ ذا ؟

رزق : كم ذا تجودُ وكم تهَبْ
إن الخزانة أَصْبَحَتْ بندالكَ كالجحرِ الخرِبْ
الفضةُ انفضّتْ وما قد كان من ذهبٍ ذهَبْ
رمضان راحَ بنصفه والنصف راحَ به رجَبْ

على بك: أجل نحنُ أطعمنا الفقيرَ ولم يكُنْ
له في قصور المُترَفينَ طعـام
ونحن سقَيْنا ابن السبيل ولم يكُن
يُبَلُّ له فوقَ الطريقِ أُوامُ
ونحنُ حضَنَّا اليُتمَ نمسحُ دمعَه
وآواهُ منا محسنونَ كرامُ
ترى الزادَ مبذولا وفي كل ساحةٍ
يتـــامى قعودٌ حولَهُ وقيام
ونَبنى فركُنٌ للثقافـــة واللجا
يُشَادُ وركنٌ للصـلاة يُقـامُ
ودارٌ يُواسَى البؤسُ فيها ومنزلٌ
تداوى جراحاتٌ به وسَقامُ
ونرفُقُ بالعجماءِ نأسو جراحها تُقاتُ على ساحاتنا وتنامُ

على بك للأغا مرجان وهو بالباب :

مرجان خير

مرجان : سيدى بشيرُ

على بك: أدخله ليسَ دونَهُ سُتورُ

«لآمال: أميرتى لا تُراعى بشيرُ من أولادى

آمال لام محمود :

إن مولاىَ شغلُه بالمهمات قد كثُرْ

ام محمود

ام محمود : ملْكتِى ما تُريدينَ ما الخبرْ

آمال : شمسُ

شمس : لبيك ملْكتى دونك الشمس والقمر

آمال لزكيه: أختُ

زكيه : أفديك ملكتى زاد فى شأنك القدَر

آمال : جُلْنَ فى القصرِ جوْلةً وتنقَّلْنَ فى الحُجَر

نحنُ فى الوُدِّ والصفاءِ كأمسِ الذى غَبَر

عِشنَ ضيفاً علىّ فى القصرِ ما امتـــــدَّ بى العُمُرْ

« يخرجن مع مصطفى وعشاق . . ويدخل بشير بك فتنتحى آمال ناحية »

« من الحجرة تشرف من نافذة فيها على ساحة الدار »

علي بك: ماذا وراءكَ يا بشـــــــير

بشير بك: شأنٌ ســـــــأعرضه خطير

علي بك: قلْ

بشير بك: لا أقولُ لأنه شـأنٌ يُسَرُّ الى الأمير

علي بك يذهب ببشير بك الى ناحية أخرى من الحجرة :

علي بك: عجـل وصـاشفني بمـا بَلَغَتْ من الجدّ الأمور والبَوُّ

بشير بك: مَنْ ؟

علي بك: أبو الدهب

بشير بك: يأخـذُ للشرّ الأهَبْ

حاز الأقاليمَ اليـــــه وتألّفَ العرَبْ

والغزُّ في ركابهِ والشعبُ جذلانُ طَرِبْ

فلنرتحل فربما جُنَّ فعجّل الطَلَبْ

علي بك : أرى الأزْمةَ اشتدتْ وأبطا انفراجُها

بشير بك : فصبراً عساها آذنت بذهاب

علي بك : صبرت طويلا يا بشيرُ فما جلا
ولا زلّ الصبرُ الجميلُ مُصابي

ولو أن رُزئي بالغريب احتملته
ولكن بأهلي نكبتي وعذابي

يُطاردني في الأرضِ من دَبَّ في يدي
ورُبِّيَ في حجري وشبَّ ببابي

ومن طلبَ الدنيا ببأسي وسطوتي
فلما حواها في يديه سَطَا بي

ومَنْ عِشتُ أبنيه وأعمُرُ ركنه
فصيَّرَ هدمي شُغْلَه وخرابي

لقد آن أن أسعى وأن أدفعَ الأذى
بشيرْ امضِ هيِّئْ للرحيلِ ركابي

الى كم قعودي عن عدوي وكيدِه
وهذا عدوي لا يملُّ طِلابي

سأخرج نحوَ الشامِ في فَلِّ شيعتي
فهيِّء جيادي وادعُ خيرَ صحابي

obeikandi.com

بشير بك: وماذا وراء الشـــام

على بك : أشـــدُّ ضَراغمْ

ألفُّهموا حـولى لنُصرة غابى

يزيد بهـم جيشى وتقوى عشيرتى

ويشتدُّ ظفرى فى القتالِ ونابى

الآن فرغنا

بشير بك: أجلْ سيدى أأمضى؟

على بك : بل ابق انتظِرْ يابشيرْ

اذَا أنا قَضَّيتُ هذا المساءَ بقرب الأميرةِ ماذا يَضير

بشير بك: وليلَ غـدٍ والذى بعـدَه

وان شئتَ فابقَ الليالى الكثير

ونحنُ فنمضى فنـأتى العريش

ونبـقى بهـا بانتظار الأمـير

نُريغُ الجواسيس طـولَ الطريق

ونهربُ من مُنكرٍ أو نكير

وتُدركنا أنت مستمهلا

كثير التوارى قليل الظهور

على بك : بل امضِ بنا سِرْ بنا سِر بنا

فما جلَبَ الخيرَ مثلُ البكور

«ثم لآمال : لا تجزعى أميرتى لا بد لى من السفر

لقد دعت حادثة من الحوادث الكُبر

آمال : كيفَ زواجٌ وسفرْ

على بك : مُزاحةٌ من القدَرْ

أغيبُ شهراً واحداً فانتظرى

آمال : سأنتظرْ

على بك : ما أنتِ الا مَلَكٌ نَهَى بقصرى وأَمَرْ

فى ذمةِ اللهِ يا ربة القصرِ

آمال : وأنتَ مولاىَ شُيِّعْتَ بالنصرِ

على بك لرزق : سأصعد يا رزقُ نحوَ الصعيد لشغلٍ

رزق : ولِمْ لا صُعودَ القمرْ

« ثم لنفسه : صُعودَ الدخانِ الى ذِروةٍ اذا صارَ فيها امَّحى واندثَرْ

على بك : ومافى الخزانةِ أوفى القصور بأمرِ الأميرة فيه ائتمِرْ

« لآمال: هكذا مصر كلَّ يومٍ شئون شغلَت مصر بالشئون الناسَا

وكأن البلاد خيلُ جهاد كلَّ يوم تُبدِّل السُّواسَا

رزق الوكيل لنفسه :

لا رحلةٌ لا سَـــفَرُ هـــذا لعمرىَ الهرَبْ

وما الصعيد يقصدونَ بل الى الشام الطلب

أما أنا فقـــد ملأتُ اليـد من أبى الدهب

اذا الزمان بـــلىَّ بعـــد حينٍ انقلَبْ

يجـــعلنى محمـــدٌ على خزائنِ الذهب

على بك : سلامٌ على قصرِ الإمارة والغِنَى

وايوانِ سلطانى ودَست جـلالى

ووالله ما فارقت مغناكَ عن قِلًى

ولا خطَرت سلوى الأمور ببالى

وأعـلمُ أنى عنك لا بـدّ زائلٌ

وأنك مـنى لا محـالةَ خالِ

ولكن أمورٌ قد جرَتْ وحوادثٌ
بنقلة دنيا أو تبدل حال
فخالفنى من كان عند إشارتى
يصولُ بجاهى أو يعيش بمالى
وعقّ الذى ربّيت فى حجر نعمتى
ووطّأتُ أكنافى له وظلالى
تألّف أصحابى والبب شيعتى
علىّ وأغرى بالخروج رجالى
لقد جئتُ بابن ليس لى فكأنما
أتيتُ بأفعى من سحيق تلالِ
تفرّق عنّى الناسُ الا بطانتى
ولم يبقَ حولى اليومَ غيرُ عيالى
سأمضى وما عندى لهم إن تركتهم
سوى قوتِ أيام وخُبزِ ليالِ
وقد زَعمَ الناسُ الغِنى فى خزانتى
أتى من حرامٍ تارةً وحلالِ

وأقسمُ لم تُعصرْ بيسنَ درهماً
من المالِ الا أنفقته شمالى
أسير أجلْ أمنى نفسٌ نفسى السُرَى
تروحُ بنجمى أو تجى بهلالى
فما الدهرُ الا حالةٌ ثم ضدُّها
والا ليالٍ بعدهنَّ ليالِ
وتلك التى أحببتُ أول وهلةٍ
وأشركتُ فى ملكٍ وشيكٍ زوالِ
أعودُ اليها فى المواكبِ ظافراً
وفرقَ بالنصر المؤزَّرِ حالى
وأرجعُ حُرًّا تحتَ النيلُ كلُّهُ
وما من بنى عثمانَ فرقَ والِ

« يخرج على بك ومعه بشير بك ورزق الوكيل ويبقى مرجان بالباب »

« تسمع ضجة وصرخة من امرأة أمام القصر تقول »

يا ربةَ القصرِ لا مسَّكِ الضُرُّ

هل عندكم غوثٌ هل عندكم نصرُ
لحـــرةٍ فى وادٍ ليس به حُـرُّ

آمال : مرجان ويحى هذه صيحةٌ وامرأةٌ صارخةٌ باسمكيه

مرجان أُنظر

مرجان : هىَ ذى أقبلَتْ مُهولةً صاخبةً شاكيه

« تدخل امرأة مقطوعة الاذن وصارخه »

آمال : ماذا دهى يا خالَه أنتِ بشرٍّ حاله
ذا الدمُ من أساله

المرأة : جنودٌ وراء كبيرٍ لهم من الدينِ قد جُرِّدوا والخُلُق
أتوْا دارنا فمضى نصفهم أزالَ العفاف ونصفٌ سرق
ومالَ على أُذُنى بعضُهم بسكينهِ طمعًا فى الحلَقْ

آمال وتدفع الى مرجان صره :

مرجان خذ ناول

مرجان : تعالَىْ خذى

آمال : لا بأس يا خالةُ لا باس

انتظرى عودَ عليّ غداً فغدٍ يرتدعُ النـاسُ

« المرأة تأخذ القصرة وتصيح مولولة »

واذْنى أينَ ألقاهـا مضَتْ أهـاً لها آها

ويا مَنْ عندَه أُذنى أما يـكفيكَ قرطاها

« تسمع ضجة ثم تدخل فتاة مذعورة »

الفتاة : سيدتى

آمال : وأنتِ أيضاً

الفتاة : رحمةً سيدتى

آمال : ما تشتكينَ ؟ ما دهى

الفتاة : الآن ياسيدتى

يُذبّحونَ إخوتى فى ساحةِ الرُمَيْلَةِ

آمال : ويحَ لهم ما ذا جَنَوْا

الفتاة : لا شىء

آمال : لا . لا بُدَّ من داعٍ دعَا

النفسُ لا تُقتَلُ يا أختُ شدّى

الفتاة : صدقتِ يا أميرتى الا ســـــنا

لا يـنزلُ الرأس بقبرٍ جداً

الا نزولَ المرء فى بيتِ الكرى

آمال : تذكّرى قولى لىَ الحق اصدُقى

الفتاة فى حياء : قد سرقَ الأخوة بحثَ الكتكتخدا

سِرْ امضِ مرجانُ مع الفتاة

واشـــــفع لدى الحاكم الجنائى

« ينصرف مرجان مع الفتاة »

يدخل أغا آخر ويقول :

ســـــيدتى

آمال : وأنتَ ما عندكَ قُلْ

الأغا : ابنُ الأميرِ سيدى مرادُ

آمال : ابنُ الأميرِ . اهىٍّ عَجّل جىء به

أكلهـــــم لسيدى أولادُ

أُدخِلْ مرادًا وائتنى بمصطفى

آمال لنفسها : أخافُ ان قلتُ أبى أن يعرِفا

« يظهر مراد بك »

آمال لنفسها : ويحى وويحٌ لعلّى ما أرى

إنى أرى الغدرَ على هذا الفتَى

مراد بك : تحيةٌ سيدتى أتذكرين مَنْ أنا

آمال : كل الذى أعرفه ابنُ الأميرِ ههنا

مرادبك أميرتى قد خدعوك ما علىّ لى أبا

ما أنا إلا صاحبٌ قدّمه وقرّبا

آمال : يا عجبا

مرادبك: وميّ يا مالكةَ القلبِ العَجَبْ

وكلُّ ما فى الأمرِ أن ليسَ علىّ لى بأبْ

وليس ما يمنعُنى من أن أُحِبَّ وأُحَبْ

آمال : تُحِبُّ أو تُحَبُّ ؟ قولٌ لا يليقُ بالأدبْ

نسيتَ للقصرِ ولى ولأبيكَ ما وَجَبْ

مرادبك: قد عرفناك يا أميرتى أمسِ التقينا فى معرض الجلابِ

مرادمستمراً :ذهبتُ لأشرى فاشترانى وباعنى

غزالٌ بسهمِ المقلتَيْنِ رمانى

هَمْتُ ولكن صاحبُ الصيْدِ ردّنى

وصيّرَ سلطانَ البلادِ مكانى

ولم يدر أنى فوقَ شـــأن محمدٍ

وشـأن علىٍّ فى الرياسـة شانى

اذا ما حوتنى كِفّةٌ رجح الذى

رمى بىَ فى مـــيزانه فحوانى

وجاء علىٌّ فاشترى

آمال : لستَ صادقاً بنَى بى أميرٌ للمكارم بان

مرادبك: وطار عن الوادى

وماذا يَهيبُه ألَمْ تُخلَق العُقبان للطيران

مراد بك يقترب منها :

آمـالُ لو تعرِفينـــا آمـالُ لو تعطفينـــا

مصطفى بالباب وقد سمع كلامهما لنفسه :

أرى شبحَ الجريمةِ حامَ حولى
كما ناشَ الغريمَ الأفعوان

آمال لمراد بك :

لا تدعُنى باسمى ولكن نادنى باللقبِ
مرادُ هذا هَوسٌ قف عند حدّ الأدبِ
مرادُ ما مقصورتى بمجلسِ لأجنبى

أخرج

مراد بك : على رِسلِك مولاتى

آمال : دعنىَ اذهبِ

مراد بك : بحقّ الحب مولاتى

آمال : ظلمتَ الحبَّ يا غادرُ
فما الحبُّ فُضولىٌّ ولا لَصٌّ ولا فاجر
ولكن معدن النبل وكنز الخُلُق الطاهر

« تنحسر العمامة عن جبهة مراد بك فيظهر أثر جرح قديم على »
« جبينه كان قد أصيب به فى صغره . . . . . »

مصطفى بعد أن يرى أثر الجرح وهو بالباب :

الهى هـذا جُرحُه ذا مـكانُه
أما كان طولُ الدهرِ للجُرح لائما
الهىَ هـذا الجُرح فوق جبينِه
مَضَتْ سنواتٌ ما مَحَوْنَ العلائما
لقد بارز الصبيان بالسيف ناشئًا
فصادفَ سيفًا خدَّش الرأسَ صارما
الهى أرى أشياءَ ثَمَّ مهولةً
وأشْفِقُ فيها من عقابك صارما
الهىَ لا تجعله حقا ومُرْ أكُنْ
بما أنا راءٍ من عذابك حالما
كفَى غضبًا يا ربُّ حسب عقوبةً
وحاشاكَ لم تظلم ولم تَكُ ظالما
الهىَ كانت هفوتى عن غوايةٍ
فتُبتُ فكُن لى فيهما اليومَ راحما

آمال للمطاق :

وا أبتـــا

مصطفى : لبيكِ آمالُ

آمالُ : الىَّ يا أبى

مصطفى : أُحبِبْ بهذا الصوتِ أُحببْ بالنـــداءِ أحبِبِ

آمال أبى

مصطفى : ابنتى أنتِ هنا

آمال : تعالَ قِفْ بجانبى

مصطفى : لا بأس يا ابنتى عليـــك دونَ ناديكِ دمى

آمال : أبى لقد ديسَ العرينُ فى غيابِ الضيغَم

مصطفى : مَنْ فى مقاصيرِ الأميرِ ما أرى من الفتى ؟

آمال : ذئبٌ بشكلِ آدمٍ للصيدِ فى الغاب أتى

مصطفى : «مهمهماً»

خنجرى أينَ خنجرى اليومَ منى

يغسلُ العـــارَ والدنيّةَ عنى

فعسى أن يُريحنى من صبىٍّ

عابثٍ أو يُريحَـــه هو منى

هـــو يطفى بسنه سأريه

أنى الليثُ ساعدى هو سنّي

آمال : أبتِ ما تقول ؟ ماذا تلمّستَ ؟

مصطفى : سلاحى

آمال : لا لا أبى لا تروعنى

آمال لمراد بك :

بربك الا حقنت الدماء

مرادبك: دمائى أنا أم دماء اللعين

مصطفى : أتلعننى يا أضلّ الشباب

أتلعننى يا أعقّ البنين

مرادبك: ولِمْ لا ومَا لكَ من حُرمةٍ

مصطفى : ستعلمُ ما حُرمتى بعد حينْ

سأقلعُ عيْنًا سمتْ لِلبَاةِ

وأقطعُ رجلاً مَشَتْ فى العرينْ

آمال : كفى هوساً أيهذا الأمير

مرادبك: أبى هوَسٌ ملْكتى

آمال : بل جُنون

كفى جرأةً

مرادبك: وعلامَ اجترأتُ ؟

آمال : على امرأةٍ تحفظ الغائبينْ

مصطفى : مرادُ لك الويلُ من سادرٍ وقاحِ اللسانِ وقاحِ الجبينْ

هتكتَ على الحزنِ محرابَه ودُستَ على عبراتِ الحزين

ولم تحتشم فى خطاب الشيوخ ولم ترج فيهم وقارَ السنينْ

«ثم لنفسه وهو يبحث عن خنجره :

ربِّ ضلِّلْ يدى وحطِّمْ سلاحى

ربِّ لا تقض أننى أقتلُ ابنى

مرادبك: سيسبقُ سيفى خنجر الشيخِ

مصطفى : مرحباً

بسيفِك من ماضى الحديد يمانى

فهاتِ مرادُ السيفَ هاتِ منيّتي

أرِح من عذابِ الحادثاتِ جَنانى

مراد بك وقد شهر سيفه :

الهى مالى قد غُلبتُ على يدى
وما بالُ سيفى اذ همتُ عصانى
وما بالُ نفسى بعد طول جمودها
قد انفجرت من رحمةٍ وحنان
عفوتُ فِلْ ياشيخُ مِلْ عنّى انطلق
وعش ناعِماً فى غبطةٍ وآمان

مصطفى : امـيرىَ ذا رأسى فخـذه بضربةٍ « يخرج مراد بك »
عسانى أرى هُدأَ الضميرِ عسانى

مراد بك لنفسه ويتبع: أأُنبيه؟ لِمْ لا؟ لا. بل استأن مصطفى
أأذكرُ لابنى كيف خِسّةُ شانى

آمال لنفسها: ويحَ لى ويحَ قد قسوتُ عليه
وتجاوزتُ فى العقوبة حَدّى
ما الذى استوجَبَ الأميرُ
وما أذنبَ حتى رددتُه شرَّ ردّ

ويحَ قلبى يُحبُّهُ كذبَ القلبُ
وبُعداً لحبِّ الفَ بُعدِ
هو مستهترٌ مشى على حجراتى
وتناسَى أمانةَ الزوجِ عندى
لا . بل القلبُ شُغلُه بمرادِ هوشغلى من الحياةوقصدى
ربِّ مالى أحِسُّ نحوَ مرادِ
شَغفاً زائداً ولوعةَ وجدِ
وحناناً كأنه رقةُ العِشقِ جرى فى دمى ولحمى وجلدى
صدقَ الأولون الآن أدرى
كيفَ تجزى القلوبُ ودّاً بودّ
كيف قلبى تحبُّهُ كيف تهواهُ
بودى لو تستفيق بودّى
عبثاً آمُرُ الفؤادَ وأنهَى
وسُدَّى استردُّ عقلى ورُشدى
كلُّ نُصحٍ يُقالُ للقلبِ فى التركِ
وفى سلوةِ الهوَى غيرُ مُجد

لِمَ لا أشتهى مرادًا وأهواهُ
ومالى أُغالبُ الشوق جُهدى
ومرادُ الذَّ فى العينِ لمحاً
من سنا الصبح بعد ليلةِ سُهد
مَلَكٌ جاء حجرتى يشرحُ الحبَّ
أفى الحقِّ أن يُجازى بطردِ
لِمَ لَمْ أتخذه فى حادثِ الدهرِ
نصيراً يَرُدُّ عنى التعدى
لِمَ لَمْ أتخذه بعد علىٍّ
ركن دنياىَ أو دعامةَ مجدى
لا وربِّ الحلالِ والحقِّ آمالُ
ارجعى للصوابِ آمال جدّى
أنتِ من أمةٍ تصونُ حِمَى الزوج
وتقضى حقوقَه وتُؤدى

ربَّ لا تجعل العلاقةَ إلا
من سلامٍ اذا التقينا وردّ
ربَّ إن البلاء منى قريبٌ
وأرى حفرةً وأخشى التردّى
ربِّ لا تقضِ أن أخون علياً
وأعنّى على الوفاء بعهدى
أنا حيْرى وأنت تهدى الحيارى
كيف أهوى على هوى الزوج عندى

ثم استعره : لا لا رويدَك يا آمالُ لا تثبي ؟
على الأميرِ ولا تجزيه طغيانا
واحمى حِمَى الليثِ فى أيام غيبتهِ
إن اللباةَ تحوطُ الغاب أحيانا
هيبه لم يخلع الدنيا عليك ولم
يُلبسكِ تاجاً ولم ينزلك أيوانا
هيبه لم ينفجرْ قبل الزواج ولا
بعد الزواج ولم ينهلّ احسانا

هيبـــه سافر فى شأنٍ له جَلَلِ
يبنى لدولتـــه فى الأرض أركانا

أما هو الزوجُ يُرعى حق غيبتهِ
وتجعل الحرّةُ الفُضلى له شانا

لقـــد أقامَكِ فى محرابه مَلَكا
لا تجعلى الملكَ الهدىَ شيطانا

« ســـــتار »

الفصل الثاني

في قلعة مناظر القصر صاحب عكا

« فناء قليل الضوء مبنى من الحجر انتشرت المقاطب في جوانبه »
« يطل من بعض جهاته على الميناء حيث يرسو الاسطول الروسي »
« في ناحية من فناء الدار بعض الجند يتحدثون . . . . . »

أحد الجند : سمعتم الرعد

آخر : سمعنا القعقعه

بربكم هل في السماء مسبعه

أم في السماءِ وقعةٌ ومعمعه

الأول : كجبلٍ من الرخامِ انشقّا

أو كالنحاسِ بالنحاسِ دُقّا

الثاني : والبرقُ لمحةُ القبَسْ أو زفرةٌ حرّى النفَسْ

أو كالسم القاني انبجس

شقّ الظلامَ وخفّق على مُلاءةِ الأُفُق
كأنه خيطُ الشفَق

حُبيش : ضرغام

ضرغام : ماذا يا حبيش ؟

حبيش : العَمَى لك العَمَى
البردُ زاد

ضرغام : صهْ أما في طوبة نحن أما

حبيش : ضرغام اني قد حسدت القوم في جَهنّما

ضرغام : اصعد اليهم إن أردتَ

حبيش : كيفَ ؟

ضرغام : هاكَ سلّما
وانشد حماتي بينهم وطف بها مُسلماً

حبيش لملاط : ملاّط

ملاط : لبّيْك حُبيشُ

حبيش : قم أخي لك العَطَبْ

ملاط : وما الذى أصنع يا حبيش

حبيش : جئنا بحطب

ملاط : من أينَ ؟

حبيش : قم خذ كلما لاقت يداك من خشب

ملاط : كيف أجرُّ الساق والبردُ بأطرافى ذهَبْ

كأننى ميتُ اليهود نُزعتْ منه الرُكَبْ

حبيش : يا لك برداً قارساً وزمهريراً لاذعاً

لا الصوف فيه واقياً ولا الحريرُ نافعاً

ضرغام : ضرغام ما الصوف ما الحريرُ لا لا أعطنا برادعا

حبيش : انظر قفا صاحبنا كأنه بَغلٌ ذبحْ

وانظر أهاتيكَ أنوفٌ فى الوجوه أم بلح

كأن كل رجُل فى أذنيه قد جُرح

« تسمع فرقعة »

آخر : صوت ؟

ضرغام : أجل

الأول : ما الصوتُ ؟

ضرغام : تلك فرقعة

الأول : وأين ؟

ضرغام : عنـــد التركِ هل من موقعه ؟

« تسمع فرقعة ثانية »

حبيش : وذاك ؟

الأول : مدفعٌ وتلك بُندقٌ

الأول : اسمع

ضرغام : وما ذلك ؟

الأول : تلك طقطقه

اقدامُ خيلٍ في الفضاءِ مُطلقه

ملاط : ربي متى ينقضي البـــلاء

وتنقضي الحربُ والشـــتاء

حبيش : ربي متى نُنعم بالسلم متى
كم ذا الى كم نحنُ حربٌ وشتا

آخر : كم أنا كالفار شقى من خندق للخندق
أُحمى على المدفع أو على صفير البندق

حبيش : قل لنا يا خرابُ ما هذه الحالُ متى تنتهي وأينَ المصيرُ ؟
قد سئمنا القتالَ واشتاقت الزوج الى زوجها وحنّ الصغيرُ
وتركنا وراءنا الدور عزّ القمحُ فيها وقلّ فيها الشعيرُ
و بنو خاهير شرابهمُ الشّاب والشهد قوتهم والفطير

آخر : كل حين يجيء من مصر جيشٌ
ينزل القدس أو يحلّ الشآما
وأميرٌ يقاتلُ الترك في مصر
أتى شاهراً علينا الحُسامَا
نحنُ ما بينَ مصرَ والترك ضِعنا
وسئمنا الحياةَ والأيامَا

غنمٌ نحنُ بين راعٍ وذئبِ
أىُّ هذيْنِ جاعَ كنا الطعامَا

آخر : وغداً ..

حبيش : ماغدٌ ؟

الأول : بـلاءٌ عظيمٌ

حبيش وآخرون: كيف ما ذاك؟

الأول : اسـألوا ضرغاما

ضرغام : العمَى للرجال ما تُبصرونَ الفُلْكَ فى البحرِ تُشبهُ الأعلاما

آخر : فُلْكُ مَن ؟

ضرغام : فُلْكُ قيصرِ الروس فى البحر تصْبُّ الردَى وترمى الحِماما
قِطَعٌ من جهنّم راسياتٌ قعـد الشرُّ حولَهُنَّ وقامَا
وغـداً ينزلُ الجنودُ فيحتلّون هـذى القلاعَ والآجامَا

ملاط : اذن فأهلاً بغـدٍ إن غداً قد اقتربْ

آخر : كيف وماذا فى غـدٍ ؟

ملاط : فيه كرائمُ السلَبْ

غداً نفوز بالسلاحِ والملابسِ القُشُبْ

آخر : وما على الصدورِ من قلائدٍ ومن صُلُب

وعادةُ الروسِ ينوءونَ بصلبان الذهَبْ

« يدخل ظاهر العمر ومعه حسين المصرى »

ظاهر : وكيف حالُ الدار

حسين : غابة الأسلْ

أوهى وكر النسر فى رأس الجَبَلْ

ظاهر : وسَهَرُ الدارِ على الضيفِ الأجل

حسين : تحفظه حفظ الجفونِ للمُقَلْ

ظاهر : والشام كيف تجد الشام ؟

حسين : نُزُلْ

حسين : يليق فى جنة عدن للرُسُل

أنهارها من لبنٍ ومن عسل لاشىء الا فى ذرا الشامِ كَمَلْ

إن تخلو من شيء فمن لحم الحمل

ضاهر (ويصفق) :

غضبانُ صعبٌ يا عبوسُ يا نكدْ

صعب وغضبان: لبيكْ مولايَ اقترح أشر تجدْ

ضاهر : امضوا جموا الحملانَ من سوق البلد

وقدموها للضيوفِ منذُ غد

« ينسحب حسين والخادمان »

يدخل خادم ويقول :

مولايَ

ضاهر : ماذا زائرٌ آخر ؟

الخادم : لا سيدى بل هذه زائرة

ضاهر : أمرأةٌ أنثىَ؟

الخادم : أجل سيدى

ضاهر : ما اسمُها

الخادم : لم ترض أن تذكره

obeikandl.com

ظاهر : هل صرحت من أينَ جاءتْ

الخادم : أجل من مصرَ مولاىَ من القاهره

ظاهر : وما سنها ؟

الخادم : غادةٌ فى الصبا تُشبِّهُها الزنبق الطيِّبا
وقد لبستْ حُلّةً للسفار
وشالا كوشى الضحى مُذهَبا
تريد تقابل ضيفَ الأمير

ظاهر : تريدُ عليا إذن مرحبا

لنفسه : آلهىَ أنْثى لدارى سعتْ تريدُ عليا فما تطلُبُ
تُرى امرأةٌ هىَ أم حيةٌ تريدُ صديقىَ أم عقربُ

« يخرج ثم يعود بشمس »

شمس : سلامٌ لك مولاى

ظاهر : سلامٌ جارة الدار
فما أنت ومَا تبغينَ من ضيفى ومن جارى

شمس : رسولٌ أنا يا مولاىَ قد جئتُ بأخبار

جَري فى مصرِ الدهرُ باحوالٍ وأقدارِ

ضاهر : وما ذلك ؟

شمس : لا أُعطى سوى مولاى أسرارى

ضاهر : هىْ تقدم فتّش السيده

« للخادم شمس : لا سيدى يحسُن أن تُبعدَه

مر لا يَمُد الوحش نحوى يدَه

الخادم ويتقدم نحوها :

ما ضرّ لو زحزحت الغادةُ فضلَ البرقع

شمس : مالك يا وغد وللبرقع دعْ عنك دع

الخادم : عمّى لك يا عمرُ ما ذى غدائرُ لكنها أفعوان قَبَعَ

وتلك الجفونُ سلاحٌ مضى وسهمٌ أصابَ وسيفٌ قَطَعْ

وفى الصدر غدارةٌ ههنا وأخرى الى جانبيْها تقَعْ

وهذا القوامُ كرمح الأميرِ اذا اهتزّ فى كفه أو لمع

أميرى ا أَنزعُ منها السلاح « يدخل على بك »

على بك بعد أن يسمع : سلاحُ الملاحةِ لا يُنتَزع

« يدخل ظاهر »

على بك لشمس :

أهلا بشمسِ بالوسولِ ومرحبا
بنسيم مصرَ ونفحةَ الأحبابِ
كيف الأحبةُ شمس هاتى خبّرى
قد طال بُعدى عنهمو وغيابى
كيف الديارُ وكيف قصرى هل تُرى
تركَ القواصدُ والصنائعُ بابى
أتُراهُمو اقدرتّهم خدمى وقد منعوا طعامى عنهمو وشرابى
وموائدى يا شمس كيف موائدى
والطاعمون بها وكيف رحابى ؟

شمس : مولاىَ طبْ نفسا فبرّك لم يزل
يجرى وخيرُك فى يدِ الطلاّب

على بك : والناسُ شمس ؟

شمس : مع الأمير قلوبهم لكن سيوفهم مع الكذّاب

الغُرُّ والأمراء حول ركابه

علي باك : وكذاك كانوا أمس حول ركابي

والأزهر المعمور ؟

شمس : صادَ محمدٌ فيه الشيوخَ وعاد بالطلاّب

علي باك : والشعبُ ؟

شمس : سالٍ ياأميرُ كعهده قد مالَ عن بابٍ وقام ببابِ

والتركُ قد نصبوه بعدك هزّةً يتصيّدون بظُفرها والنابِ

علي باك : والقصرُ كيف القصرُ كيف صديقتي

وشريكتي في شدتي ومُصابي ؟

أرأيتِ آمالا؟وكيف وجدتِها ؟

شمس : لم نفترق مولاي

علي باك : منذُ ذهابي ؟

شمس : عزمت علينا أن نقيمَ بقصرها

وتعطّفت وحَنَتْ على الأتراب

علي باك : فوجدتها يا شمس

شمس : خيرَ عقيلةٍ وأجلَّ ربةِ منزلٍ وحجابِ

مَلأتْ مكانكَ عزّةً ومهابةً

وكسَتْ حِماكَ جلالةَ المحرابِ

سَهِرت على ذكرى الأمير وعهدِه

سَهَرَ اللباةِ على حريمِ الغابِ

لو كنتَ أمسِ ترى رأيتَ أبيّةً

غَضْبَى محاميةً عن الأحسابِ

علي بك : غَضْبَى ؟ ومِمَّ وما جَرَى ما راعَها ؟

شمس : من سافلٍ مُتهافتٍ دبّابِ

علي بك : ما ذاك شمسُ من الوقاحُ

من الذى ؟ نقلَ الخُطَى بمنازل الغيّابِ

شمس لنفسها :

ربّاه ماذا قلت لِمْ خبّرتُه

علي بك : قولى أجيبى

شمس لنفسها : ربِّ كيفَ جوابى

شمس لعلى بك :

ذنبٌ فلا تجعلْ شغلك سيدى
إن القذارة شيمةُ الأذناب

على بك : من ذاك شمس ؟

شمس : مراد

على بك : ويحَ له ولى ويحى من الأتباع والأصحاب
أمرادُ يصنعُ ذاكَ ماذا غرّه بخزانتى ما غـرّه بثيابى
والزوج شمس ؟

شمس : استعصمت فى دينها
ورَمَتْ بزائرِها وراءَ البـابِ

على بك لنفسه :

يا نفسُ قد خان من قلّدته ثِقتي
وكان حولى لواءَ الصحبِ والآلِ
هذا أبو الدهب استولى على شِيَعى
وحازَ دونىَ جاهى واحتوى مالى

obeikandl.com

واليوم هـذا مرادُهُ نالَ من شرفى
ما لا يَمُرّ لاعدائى على بال

على باك لشمس :

تعالَىْ نَجُلْ يا شمسُ فى دارِ ضاهِرِ
تعالَىْ نَرَى الجيشَ الحليفَ تعالى
فنحنُ اقتسمنا الحصنَ ثَم عيالُهُ
على كثرةِ اللاجى وثَمّ عيالى

« يدخل حسين من باب ويدخل سعيد من باب آخر »

سعيد : حسين هنا ؟

حسين : من أرى مَنْ سعيد ؟

سعيد : سلامٌ حُسَيْنٌ

حسين : سلامٌ سعيدْ

سعيد : أأنتَ هنا لَمْ تزلْ يا أخى تراقبُ فى الشامِ حالَ الطريد؟

حسين : وكيف اقتحمت فِناءَ العرينِ
وجاوزتَ هـذا الحصارَ الشديد ؟

سعيد : بمالٍ بذلتُ هنا وهناك وبالمالِ يُعطى الفتى ما يُريد

حسين : متى جئتَ من مِصرَ ؟

سعيد : هذا الصباح

حسين : ومن كان معك؟

سعيد : بغالُ البريد

حسين : وماذا بمصرَ من الحادثاتِ ؟
وهل جدّ فى أرضِ مصرٍ جديد

سعيد : حوادثُ مصرَ على حالِهـــا
وأمسِ القريبُ كأمسِ البعيـد

حسين : وكيفَ محمد ؟

سعيد : خلّفتُهُ كما يشتهى وعلى ما يُريد
قبولٌ يُحرِّقُ قلبَ الحسود ودنيا تفيض وشأنٌ يزيد
لقد نزلَ الريفُ فى راحتيْه وحجَّ الى قدميْه الصعيـد
تَرَى الأمراءَ على بابِهِ يقومون فيـه قيامَ العبيد
وللفقهـــاءِ على دارِهِ صباحَ مساءَ زحامٌ شديد

حسين : اذن قُضيَ الأمرُ مصرٌ لنا

سعيد : أجل ملكُنا اليومَ فيها وطيدْ

حسين : وكُتبي سعيد؟ تجيء الأمير؟

سعيد : أجل وهي موضعُ اعجابه

يُشيرُ بها في أحاديثهِ وينشرُها بينَ أصحابه

ونحنُ كلانا على بابهِ غداً نتلاقى على بابه

ونَطعَم أطيبَ إحسانهِ ونلبَس أسبغَ أثوابهِ

حسين : وما أتيتَ يا أخي تصنعُ في هذا البلد

سعيد : ذلك سرّي يا حُسينْ لا يقالُ لأحد

حسين : حَذارِ أن تقول أو تفعلَ شيئاً يُنتقَدْ

نحن بدارٍ ضاهرٍ دارِ العديد والعُدَد

الجمع يقظانٌ بها وان ظننتهَ رقَد

وكلُّ جاسوسٍ هنا عليه عينٌ ورصَدْ

وقد تظنُّ ضاهراً مبتعداً وما بَعُدْ

وضاهرٌ ليلَ نهارَ في السلاح والزردْ

قد جعلَ الشام هى الغاب وطاف كالأسد

« ثم بعد فكرة سكون »

سعيد : حسين

حسين : ماذا يا سعيد قل سلِ

سعيد : أينَ تُرَى أصادفُ الآن على

« يقبل على باك »

حسين : سعيد انظر التفت هذا الأميرُ مقبلا
يمشى الهوينا ويُخالُ الأسدَ المستهلا

سعيد : حُسيْنُ ماله انحنى ما بالهُ ترهّلا
لأمشينَّ نحوَه

حسين : لا يا أخى بل ابق

سعيد : لا

حسين : إياكَ أن تقولَ ما يُغضبه أو تفعلا
فهو مَهيبٌ ههنا كالليث فى جوزِ الفلا

سعيد : لا تخشَ لا أكون إلا محسناً ومُجملا

ألم يكُن أمسِ أميرَ البـــــلدِ المبجّلا

علي بك لسعيد :

من المرء من أينَ من أرضِ مصر ؟

فهذا اللباسُ لبـــــاسُ الوطن

سعيد : أجل ملكي من رعايا كمُو

علي بك : ومن مصرَ هذا اللسانُ الحسَنْ

وما اسمُك

سعيد لنفسه : ما همّه اسمي ؟

« لعلي بك: سعيد

علي بك : سعيد تذكرتُ مَنْ أنتَ مَنْ

سعيد لنفسه :

تذكّرني عَجَبٌ كيفَ ذاكَ ؟

ولم نجتمـــــع مرةً في الزمَنْ

تُراهُ بيَ ارتابَ ظنَّ الظنونَ

تراه لمـــــا كلّفوني فَطِن

obeikandl.com

علي بك : وكيف تركت بمصرَ الأمور

سعيد : عواصفُ حولَ مراسي السفُنْ

وجوُّ الأمورمن الحادثاتِ كثيرُ الغيوم كثيرُ الدُّجَنْ

علي بك : وكيف تركتَ الأمير الجديدْ ؟

سعيد : سقيم الولاية نكدُ الزمن

علي بك : ولِمْ يا فتَى هل تولّى الولُّ

وخان من الشيعةِ المؤتمن

سعيد : أجل يا أميرُ ودبَّ الخلافُ

وثارت هنا وهناك الفِتنْ

علي بك : حديثكَ يا صاحبي لا يُساغ

ولا تطمئن اليه الأذن

عساك تبالغ فيما تقول لعلّك تخلق ما لم يكُن

اذن لم يَخُن عهدىَ الأمراء ولم يقلب الترك ظهرَ المِجَنّ

ولم ينس أصحابيَ الفقهاء أيادىَّ عندهمو والمِنَنْ

ولا الشعب ملَّ الأمير القديم
ولا بالأمير الجديد افتتنْ
بلغتَ المدى أيّها الفتى رُويْدَ تأنّ رُويْدَ تأنّ
فما نحن فى فلواتِ الحجازِ ولا نحن فى ربوات اليمَن
ولكن على الشامِ فوق الطريق
تمرُّ الركابُ بنا والسفُنْ
وأخبارُ مصرَ وأحوالُها هنا سمَرٌ للقُرَى والمُدُنْ

سعيد : وكتبٌ الثقات إلى سيدى

على بك : وما هى من أرسل الكتب من ؟

سعيد : كتابان من عمر الجركسى ومن حسنٍ

على بك : منْ ؟ صديقى حسن ؟
كتابان من مصرَ من صاحبىَّ ؟

سعيد : أجل سيدى

على بك : سوف أغلى الثمَن
وأينَ الكتابان ؟

سعيد : خذ سيدى

خذ النمش خذ من يدىّ الكفنْ

« وينقض عليه بخنجره فيقبض على يك على ساعده »

حسين لنفسه: أسفاه على سعيدٍ فما أدرى الى أين ينتهى أين يُمسِى

نحنُ سيان فى البلاء وأيدٍ طلبتْ رأسه ستطلب رأسى

هو فى قبضةِ الأميرَيْنِ لمْ لا أتوارى أنسلُّ أنجو بنفسى

« ثم ينسل هاربا »

على بك : كيف ترَى يا معتدى لقد وقعتَ فى يدى

يدخل ضاهر ويقول :

اتركه لى يا سيدى

اتركه لى فإنه فى دارى سطا بضيفى وسطا بجارى

على بك : من ؟ ضاهر ؟ بالنفسِ أفدى ضاهرَا

أكنتَ معنا يا أميرُ حاضرَا

ضاهر : كنتُ عليك يا صديقى ساهرا

والآن أذهبُ يا أميرُ بصاحبى

obeikandl.com

obeikandl.com

أنا قد وهبتُكَ للأمير وقد عفا
إن الأمير بكلّ فضل باد

على بك : الآن سعيد

سعيد : أميرى قلْ

على بك : تكلّم أبنْ نبّى مَنْ أمَرْ
ومن بَذَلَ المالَ بى مُغرياً وكيفَ أتاك جوازُ السفَرْ
تكلّم أبِنْ

سعيد : سيدى أعفنِى فلاخيرَ فى أن يذيعَ الخبرَ

على بك : قل السرَّ لا تُخفه لا تَخَفْ فسرُّك عند صديقى العُمَرْ
أليسَ محمدٌ المجترى ؟ قل الصدق تأمن به كل شرّ

سعيد : مرادٌ أشار بقتلِ الأميرِ وغيرُ مرادٍ به لم يُشِرِ

على بك : مرادٌ ؟

سعيد : أجل إنه المعتدى وما أنا إلا سلاحٌ شُهِرْ

« على بك ملتفتاً بضاهر العمر »

سمعتَ أخى مايقول الغلام عدوٌّ من الأهل ثانٍ ظَهَرْ

إذا ما بنى الأهل والأقربونَ
فكيفَ من العالمين الحذر

« يخرج الظاهر فيتغيب لحظة ثم يعود فيقول »

ظاهر : أميرىَ

على بك : مَنْ صاحبى ظاهرٌ ؟

ظاهر : هنالك مولايَ ضيفٌ حَضَر

على بك : ومَنْ

ظاهر : قائد الروس فى عكّةٍ أيدخل مولايَ أم ينتظر

على بك : أميرٌ على البحرِ ماذا يقود؟

ظاهر : بوارجَ للروسِ مثلَ الجُزُر

على بك : وماذاترَى أنتَ مُرنى أشِرْ

ظاهر : تلاقيه فهو جليلُ الخَطَر

على بك : ألاقيه ؟

ظاهر : لِمْ لا وما فى اللقاءِ اذا ما سمحتَ به من ضَرَر

« يصفق الشيخ ظاهر فيدخل القائد الروسى محاطا برجال »

« الشيخ » ويخرج ظاهر وسعيد ورجال الشيخ »

القائد : التحياتُ للأمير

علي بك : تحياتٌ وأهلا بسيدى الربّان
ادنُ خُذْ مجلساً بجنبى تفضّل

القائد : عِشتَ مولايَ مُولِيَ الاحسانِ
نحنُ جارانِ يا أميرُ ولكن نحنُ فى منزلَيْنِ يختلفانِ
أنتَ كالليثِ رابضا فى الصحارى
وأنا الحوتُ فى العباب مكانى

علي بك : غيرَ أنى مُقيّد بخطوبٍ حبستْ همتى وردّت عنانى

القائد : لاتَضِق ياأميرُ ذلك أسطولى جلالَ البحارِ نورَ الموانى
سُفُن القيصر العظيم قصورٌ لك إن شئتَ زُيّنت ومغانٍ

علي بك : أشكُر القائدَ النبيلَ وان لم يخف ما فى خطابه من معانِ
مستمراً :

أنا فى دارِ ضاهر وهى دارى مع أعوانه وهم أعوانى
أنا فى دارِ مسلمٍ عربىٍّ مانعِ الجارِ مكرمِ الضيفانِ
أنا فى الدارِ أولٌ مُنذُ هاجرتُ اليها وصاحبُ الدارِ ثانِ

القائد : سيدى ألقِ ضاهراً وتقلّد نجدة القيصر

لا ترومَنَّ بالعصا مُلكَ مصرٍ واطلب الملكَ بالحسام

كيف تبغى سريرَ مصرَ بشيخٍ

بدويٍّ بصارمٍ وحصانِ

على بك : بكريمٍ من الرجالِ أبيٍّ عبقريِّ الوفاء والاحسانِ

فَزِنْ القولَ يا نبيلُ وأمسكْ لا تَنَلْ ذكرَ صاحبى بهوانِ

القائد : ما أهنتُ الصديق مولايَ لكن

قلتُ أحسنْ تخيُّرُ الأعوانِ

على بك : ليْسَت النجدةُ البوارجَ كالأعلام

تطوى اللُّجاجَ كالطوفانِ

ليْسَت النجدةُ الحديدَ ولا النارَ

بأيادِ المُشاةِ والفرسانِ

ليْسَتْ النجدةُ اصطفافَ العوالى

والتفافَ العروشِ والتيجانِ

النجدةُ الحق الأ صاحبُ دمُه

عند البلاءِ دمى أو مالُه مالى

أخٌ قديمٌ كبرق التبر خلّتُه

لم أسْقَ من وُدِّه الا بسلسالِ

وعرضُه عندىَ الغالى وان بعُدَتْ

به الديارُ وعرضى عنده الغالى

القائد : كصاحبِ الدار ؟

على بك : لم لا ضاهرٌ رجلٌ من المروءةِ لا عُطلٌ ولا خالِ

« تقبل شمس »

القائد : والمُلكُ مولاى مُلكُ الضفّتيْنِ

على بك : أجل

المُلكُ يا قائد الأسطولِ آمالى

القائد : إذن فتلك سفينُ القيصر اضطجعت

على فراسخَ من عكا وأميال

فاركب أميرىَ فيها وائت مصرَ غداً

فى الدارعينَ وفى الفولاذِ والمالِ

لعلّنا ندخلُ الوادى معاً وعسَى
على لوائك يغزو التركَ أبطالى

على بك : نمضى فنفتحُ مصراً ثم ندخلها
أمنيّةُ الدهرِ تأتى لى وتسعى لى
غداً احلُّ بأعدائى العقابَ على
ما استمرؤا أمسِ من قهرى واذلالى

« يدخل ضاهر »

على بك لنفسه :

رباهُ ماذا يقول المسلمون غداً
إن خنتُ قومى وأعمامى وأخوالى
يُقالُ فى مشرق الدنيا ومغربها
فعلتُ فعلةَ نذل وابنِ أنذالِ

« للقائد: أجل سَموْتُ لملكِ النيلِ أطلُبُه
بهمّتى وبإقدامى وأفعـــــالى
لا أستعينُ على الأهل الغريبَ ولا
أرمى الذئابَ على غابى وأشبالى

القائد : مولاى تلك معانٍ تحتها كرمٌ
ليْسَتْ لمن طلب الدنيا بأشغالِ

على بك : بُعداً وسُحقاً لعلياءِ الأمورِ اذا
لم التمسها بخُلقٍ فاضلٍ عالِ

الموتُ فى ثمرٍ ترقى لتجنيهِ
فى سُلَّمٍ من ثعابينٍ وأصلالِ

القائد : إذن أميرىَ فالأسطولُ منتظرى
والبحر يسألُ عن شأنِ الأميرَالِ

على بك بصوت منخفض :

اذهب فما أنتَ دارٍ ماغدٌ فعسى
يُغيّرُ اللهُ من حالٍ الى حال

« ينصرف القائد ويتبعه ضاهر وأتباعه »

على بك لنفسه :

رباهُ ما بالى أبعدَ محمدٍ وعقوقه أشقَى بكيدِ مرادِ
أنا صخرةُ الوادى يُراوحُ عاصفٌ
ركنى ويبكُرُ عاصفٌ فيغادى

حَمَلَتْ كواهلَىَ الخطوبَ كما حَوَتْ
هوجَ الرياحِ مناكبُ الأطوادِ
ولقد تركتُ ورائىَ الوادى وما
بالضفّتَيْنِ فتىً يحوطُ الوادى
لم يبقَ فى مصرٍ ومصرُ عزيزةٌ
من قائلٍ هـــذى البلادُ بلادى
الذئبُ يرتعُ فى الديارِ ويرتعى
والشعبُ يسرحُ كالقطيعِ الهادى
نقلَ الزمانُ زمامَه ورمى به
من فاتحٍ باغٍ لآخرَ عادى
ويحِى فما وقف الرجالُ كموقفى
من ظلمِ أحبابٍ وكيدِ أعادى
فهناكَ فى فسطاطِ مصرَ محمدٌ
جَشِعُ العداوةِ لا يَمَلُّ طرادى
حتى حوى بيدٍ مواكبَ دولتى
وحوى بأخرى طارفى وتلادى

مالى تجدُّ الأثيمُ يكيدُ لى
وصراخُ الباغى يسوس ونادى

عجبُ العجائب مصرُ سارت ضيعةً
لمحمـد ورفاقه الأوغادِ

ذئبٌ أتى الأتراكُ فى الوادى به
خلعـوا عليـــه إمارةَ الآسادِ

وبقيتُ فى أرضِ الشآم مُشرّداً
حيران ليس لحيرتى من هاد

قد نمتُ عن حقى وتاركُ حقّه
لاقى الخسارِ على النـــدامةِ غادِ

مالى قعـــدتُ وتركيا مقهورةٌ
والروسُ حولى يخطبون ودادى

أسـطولهم بيـدى وقائدهم معى
سأصيبُ جُندى عنـده وَعتادى

لا يا علىُّ رويدَ فى الغضب اتئد
ما تلك خُطّةُ حكمةٍ ورشـــــاد
ماذا جنَتْ مصرٌ علىَّ وأهلُها
إن الجناةَ علىَّ هُمْ أولادى
ما ضرَّ مصرُ وضرَّنى إن لم تكُن
مهدى وكان بغيرها ميلادى
بلدٌ رعانى فى الصبا وأحلّنى بعد الشبابِ مراتبَ القواد
ودخلتُه عبداً كيوسفَ مشترى
فاعتضتُ تيجانا عن الأصـفادِ
لا يا علىُّ اسمع نُهـاكَ ولا تُصِخ
لوساوسِ الشهواتِ والاحـقاد
لا ترمِ بالروسِ الشدادِ جماعـةً
ضعفاءَ مهذولينَ غـير شـدادِ
لا تنس موضع مصر واذكر مالها
من أنعمٍ سلفَتْ وبيض أياد

لا تنسَ ما ذا ألقتْ من سامرٍ
لك فى الشبابِ وهيأت من نادِ

شمس : أميرى

على بك : شمس سمتِ النجىّ ؟

شمس : أجل سيدى وعلمتُ الخبرْ

على بك : فما ذا ترينَ ؟

شمس : أرى الخطبُ جلّ وأنتَ عليه جليلُ الخطرْ
وما زدتُ علماً بحلم الأمير ولا خُلقه الأريحىّ العطرِ
دع الروسَ لا تنتصرْ بالغريب وبالله بالأقربينَ انتصرْ

على بك : وأينَ همو شمس ؟

شمس : هم فى يديْك وتحتَ لوائِك مُر قل أشِرْ
أصخ لسجاياكَ فالخيرُ فيك

على بك : وليسَ يُقابَلُ الا بشَرّ
ابو الدهب الغرُّ بالتركِ لاذَ
وفى مصر فى غدِها ما افتكَرْ

obeikandl.com

وكم قد غزاهم على رايتى وكم من سلاح عليهم شَهَرْ
وكنا خطفْنا انتشال البلاد
وانقاذها من عُتوّ التَتَرْ
وأن نستقلّ بسلطانها ونهضها فى النواحى الأخَرْ

شمس : تركتُ ورائى ما تبتغى من العون والمدد المنتظر

على بك : جموعٌ ؟

شمس : هناك على الصالحيةِ جمعٌ كسربْ الجرادا انتشَرْ
وينتظرون ركاب الأمير كمثلِ انتظارِ النباتِ المَطَر

« يعود ظاهر »

ظاهر : ظاهرٌ عند ظن مولاى فيه

على بك : مَنْ ؟ صديقى أخى حليفىَ ظاهر ؟

ظاهر : قد سمعتُ الذى جرَى ولمستُ الفضلَ والنُبلَ والسجايا الطواهر
عزوتى سيدى ونفسى ومالى
فى الذى شئتَ ما الذى أنتَ آمر
نحنُ ألفانِ يا أميرى على الأرضِ
وألفانِ فى مُتونِ الضوامِرْ

ومعى مدفعانِ من سلَبِ التركِ
وتلٌّ من السيوفِ البواتر
والمواشى كثيرةٌ فى ضياعى
والطريقُ الطويلُ بالخير عامر
كلُّ شيءٍ كما تُحبُّ مُهيّأ فمتى الظّعنُ سيدى نُرْ نسافر

على بك : غداً الظعنُ يا أخى قُم تأهَب
إنما الغُمُّ للخفيفِ المبادر
ضاهر اسمع هناك فى مصرَ

ضاهر : ماذا ؟

على بك : أُهبةٌ يا أخى وجيشٌ مناصِر
من صحابى المُشردينَ وأتباعى ومن كل حافظ العهد ذاكر
إن جمعنا إليه جيشَكِ سِرْنا وأخذنا محمداً أخذَ قادر
وانتزعنا البلادَ من قبضة
الترك ومن كل فاسق الحكم سادر

آن أن نُنقذ البلادَ فماذا أنت راءٍ

ظاهر : هامّ والجيشُ حاضر

على بك : حاضرٌ ؟ فلنَسِرْ إذن

الظاهر : بعيون الله فى حفظهِ بأيمن طائرْ

ثم يصيح : عَرَبَ الشامِ تلكَ مصرُ دعتكم

جماعة من عرب الشام : ألفَ لبّيْكِ مصرُ لبّيْكَ ظاهر

« ستار »

obeikandl.com

الفصل الثالث

« الوقت بعد الغروب — فى سرادق محمد بك ابو الدهب بالصالحية »
« حيث دارت رحى الحرب بينه وبين على بك ، فى الوجه محمد بك »
« راقد على سرير وعثمان الجاسوس التركى يكبس قدميه ، في أحد »
« جوانب السرادق جماعة من البكوات يتحدثون ويلعبون الشطرنج »
« فى الجانب الآخر خادمان مصريان مشغولان بتنظيف ملابس »
« محمد بك ابو الدهب »

أحد الخادمين للآخر :

ولدى زعزوع أنصتْ أصغ للحقّ المبين
نحنُ فى أيام جهلٍ وبلاءٍ وجُنونْ
نحنُ فوضى من مراح الشاةِ للخدْر المصون
فى زبونٍ من حروب الأهل فى إثر زبون
ورؤسٌ فى الصوانى نُزِعتْ منها العيون
وعزيزٌ هانَ ما كان ببالٍ أن يهون
أصبحَ الناسُ على الوادى بلا دنيا ودين
حركاتٌ كالسكونْ وحياة كالمَنونْ

وقفَ الحاكمُ من كل رخيصٍ وثمين
مثلَ ما قد وقفَ الدائن من مال المَدين
وشريكِ الشعبِ فى كدّ يديه والجبين
وشريكاً فى الأوانى وشريكاً فى الصحون

الآخر : يا شيخُ هذا بلدٌ أحمالُه بلا عددْ
من سُلَفٍ وكُلَفٍ ومن نكوسٍ وفِرد
وكلَّ يومٍ مطرٌ من الضرائب الجُدد
وتلدُ الفردةُ ما لا يعلمون من ولد
على الحمار فردةٌ وفردةٌ على الوتد
وفردةٌ على اللجام وهو حبلٌ من مَسَد
وفردةٌ على برادع الحصير واللبد

مستمراً : ياشيخُ لى نجلةٌ غرامى وكل همّى كانا إليها

الأول : ما صنعت ما الذى دهاها

الثانى : قد ضربوا فردةً عليها

فضقتُ ذرعاً بذاك حتى ذبحتُ شاتى وطفيلتيها

الأول : ما قد دهاك دهانى ومثلُ شأنِكِ شانى
أتيتُ بطنطا لشغلى وكانَ تحتى أتانى
خرجتُ منها مع الليل مُسبلاً طيلسانى
فمرّ فوق طريقى من لا أرى ويرانى
أغَاً عليه سلاحٌ فى صورةِ الشيطانِ
فصاحَ بى قِفْ ترجّل لقد سرقتَ أتانى

الثانى : وما جَرى ؟

الأول : قلتُ له بل الأتان لى أنا
فقال ذاك أمسِ إلا أنّها اليوم لنا
بل هى لى وحدى فدء ها لى وامضِ من هنا
ثم رمانى بيدٍ كأنها كفّ النمرْ
ثم اعتلى ظهرَ الأتان

الثانى : ثم ؟

الأول : لكن لم يَسِرْ
حتى سمعت هدة وصرخةٌ من النهرْ

وأبصرتْ عيني وراءَ الليل آيةَ القدَرْ
حمارتي تجبّرتْ مثل تجبّر البشر
فأغرقت راكبها وغرقت على الأثرْ

مميش بك لعثمان بك : فى تهكم واستهزاء

لقد رأيناك ضحى اليوم تجي من الجبلْ
فوق حصان كالغزال رقةً وكالجملْ

عثمان بك فى غضب :

كذبتمو قد كان تحتى سيدُ الخيل بطَلْ
لا جملٌ ولا غزال هو لكن الوعِلْ
كالأُقحُوان فى الشهابِ والشهاب فى القُلَلْ

مميش بك : وقد تمايلتَ على السرج تمايلَ الثملْ
وقد تدلّى بطنك الضخمُ عليه وانسدلَ
كأنك المحمَلُ والحِصانُ تحتك الجملْ

عثمان بك : مميش عبت حصانى ولم تدع لى اعتباراً
هذا جزاؤكَ عندى خذ هاك منى عياراً

« ويطلق عليه غدارته »

محمد بك : عثمان

عثمان بك : ملكي

محمد بك : لا تُرَعْ قد كان من حزبِ علي
كفيتنيه فتولَّ اليومَ ما كان يلي
هيّوا احملوا جُثّته هيوا اذهبوا بالرجلِ

« يخرج به البكوات والخدم »

« عثمان الجاسوس وهو يكبس قدم محمد بك »

عثمان لنفسه : خدمتُه والله ما خدمتُ الا دُولتي
كبسته والله ما كبّستُ الا حاجتي
خادمُ تركيا أنا ما أنا خادم الغبي
كم من حرير في نواحي صُدرتي وذهبِ
هاتيك ألقابي وتلك شرطي ورُتَبي
مما بلغتُ في رضا الله وطاعةِ النبي
وتحت أعلام السلا طين السيوف القُضُب
أقمتُ في مصر سنينَ أنزوي وأختبي

وأنا حيناً ماهنٌ وأنا أحيانا سبى
أرمى أخاً على أخٍ وأصدم أبنا بأب
لم آلُ حكمَ الغزّ جُهد الباحث المنقب

« يفيق محمد بك ويتمطى ويتثاءب »

محمد بك : ما ذا يقولونَ عنا فى مصرَ يا عثمان

عثمان : عهد الأميرِ رخاءٌ وغبطةٌ وأمان
فمصرُ راضٍ بنوها والناسُ فيها لسانْ
يقول إن أميرى يحبه السلطانُ

محمد بك : والأمراءُ أمِنهم مخالفٌ غضبانُ

عثمان : الأمراء جميعا ببابكم أعوان
لا يذكرونَ عليا وبيته مذ بانوا
فما لغيرك صِيتٌ ولا لغيرِك شانُ

محمد بك : صدقت هم حيث كان الجديدُ فى مصرَ كانوا

« يقبل جندى ويقول لمحمد بك »

مولاى عندى أخبارُ سوءٍ وقفْنَ فى فِىَّ فهو حائر

محمد بك : أنت رسولٌ ؟

الجندى : أجل

محمد بك : فخبِّرْ بيِّنْ الامَ القتالُ صائرْ ؟

الرُّسلُ لا يُسألونَ عَما بعد المناعى ولا البشائر

الجندى : مولاىَ

محمد بك : ماذا عجلّْ تكلّم

الجندى : دارتْ على جيْشِنَا الدوائرْ

محمد بك : وما الذى كان من علىٍّ ؟

الجندى : أُعينَ فى أمرهِ بضاهِرْ

محمد بك : وفاز ؟

الجندى : فى أول التلاقِ بقوةِ الشامِ والعشائر

محمد بك : إذن هلكنا ؟

جندى آخر وهو داخل : لا ياأميرى بل أنتَ ناجٍ بل أنتَ ظافِر

محمد بك : من قال ذا ؟

الجندى : شاهدا عِيانِ

محمد بك : من أينَ ممّن ؟

الجندى : من العساكر

« يدخل الجنديان ويتبعهما خدم يحملون صنية كبيرة »

الجندى : ها هما

محمد بك : مرحباً

الجنديان : عوافِ حياةً

محمد بك . أوْ جزَا

الجنديان . نحنُ موجزان المقالا

هُزِمَ الجيشُ صبحَ أمسِ ولكن

عادَ نجمُ العدوّ ظهراً فمالا

فحملنا عليه حملةَ صدقٍ وحوينا الرجال والأموالا

محمد بك لاحدهما :

زِدْ أبِنْ

الجندى . ما قصّرَ الجيشانِ ضرباً وطعانا

« يقبل البكوات »

محمد باك للجندى :

وابو مَيْلَة (١) ؟

الجندى : غشّى ساحةَ الحربِ دُخانَا

أحد البكوات :

قد رأينا من هنا ظلمتَه واللمعانا

وسمعنا من هنا رجَتَه والدَوَرانا

محمد باك : اختراعى مدفعى قد ظهر اليوم وبانا

ومُرادٌ؟

الجندى : كان كالليثِ لحاظًا وجنانا

شدّ بالزأرةِ والوثبةِ فى الحربِ قوانا

كلما انهار حِصَانٌ تحته احتلّ حِصانا

محمد باك : ثم ؟

الجندى : رمى بنفسِه على علىٍّ فى الرحَى

محمد باك : ثم ؟

الجندى : تجالدَ فلم يدعه حتى جُرحا

(١) مدفع من صنع واختراع محمد باك ابو الدهب

محمد بك : أين هو الآن

الجندى : على أثارنا على سريرٍ ليّنٍ مُظلّلِ
يخدمه النـاسُ ويُعنونَ به
كالولد المهـــد المدلّل

محمد بك همساً لعثمان :

عثمانُ هـذا عَلَوىٌّ لا تنسَ رأسَه غدًا

محمد بك للجندى :

وما على الصينيه من تحفٍ سنيه
تلك رؤوس شيعتيّه . ومن سعى لنصرته . من بيته

« يأخذ الجيش فى العودة من ميدان القتـال فى أزياء شتى بين »
« الضجيج المتواصل من الطبل والزمر ، وتقبل طائفة طائفة فى »
« بخيمـة محمد بك ، وكلما طافت به جمـاعة خرج اليهم البـ »
« عليهم الذهب وهو يقول »

محمد بك : خذوا خذوا خذوا إنى أنا أبو الدهب
خذوا املأوا أيديكم من الشعاع المنسكب
الجماعة : سلمت يا أبا الدهب وعشتَ تُعطى وتهَ
أخجل جودك السُحُب

الجيش والنظارة يهتفون معاً :

بنى الوادى قفوا حيّوا اللواء وغطوا الأرضَ وردًا والسماء
رَجَعْتُم من وراءِ الحربِ نصراً
وهـذا النصرُ بينَ يديْه جاء

هو الرمزُ المُقدسُ فاتبعوه وموتوا فى القتالِ له فداء
عليه ضجةُ الفرح ابتهاجا بطلعتهِ الحبيبةِ واحتفاء
كأن وراء هيكلهِ خيالا
من الشهداءِ والجَرحَى تراءى

***

على قـدم حيُّوا العَلَمْ
حيُّوا الشـعار حيّوا الفخـار
رمزُ الوطن مجـدُ الديارْ

القواد القادمين :

سـيدى فُزت بالمُنى هو ذا الجيش قد رجَعْ
وهَبَ الله نصرُه للمـــريدينَ والتَّبَعْ

وعلىّ وجيشه شبهتْ منهما الضبعْ

ليس يُدرى أماتَ أم فى يدِ الجُند قد وقع

محمد بك : أجل أرى الجيش اقترب نشوانَ بالفَ الأربْ

يرسل رنّةَ الطرَبْ

فريق من الجند يتغنون من خارج الخيمة :

سلمتَ يا أبا الدهبْ وعشتَ تُعطى وتَهَبْ

أخجل جودُكَ السُحُبْ

جماعة أخرى من الجيش والنظارة يهتفون

يا عسكرَ النيلِ بالسلامَه يا عسكرَ النيلِ بالسلامه

ظفِرتَ بالنصر كلَّ حينٍ وفُزتَ بالعزِّ والكرامه

فى يومِ سلمٍ وفى قتالٍ وفى رحيلٍ وفى إقامه

فما شهِدتَ القتالَ إلاّ رفعتَ للضفّتيْنِ هامه

أُبليتُموا قادةً وجُنداً بورِكَ فى الجندِ والزعامَه

قد شيّد الله مجدَ مصرٍ والجيشُ من مجدِها الدعامه

جماعة آخرون :

هلمَّ خيلَ الوطنِ تخايلي في الرسنِ
اليوم أنتِ مطلقه حمحمةً وطقطقه

محمد بك ابو الدهب وينثر الدهب :

خذوا خذوا خذوا خذوا إني أنا أبو الدهب
خذوا املأوا أيديكم من الشعاعِ المنسكبْ

الجماعة : سلمت يا أبا الدهب وعشتَ تعطى وتَهَبْ
أخجل جودُك السحب

بعد البكوات :

ملكي

[illegible] : ما جرى

[illegible] : تأمّلْ أسيرٌ

سيدي من عواهل الشامِ كهلُ

محمد بك : من يسوقُ الرجالُ ضاهرُه الشامىُّ

عانٍ عليه قيدٌ وغلُّ

« يدخل ظاهر يحوطه الجند »

محمد بك : ويحهم ذاك ظـاهرُ ما لجندى
قد غَوَوْا مالقادة الجند ضـلّوا
كثر الجندُ فى الحَديد عليـه
وهو كالليث فى الحَديد يُدِلّ

ويتقدم منه :

ما أرى ظاهرٌ يُساقُ أسـيرا
أنتَ من ذَاكَ يا أميرُ أجلُّ
أيها الجندُ ظاهرُ صـار لى ضيفًا
فخلوا سبيلَ ضيفى خـلّوا
من فلسطينَ أنتَ ظاهرٌ أم من أرز لبنان أم لك الشام أصلُ
ظاهر . كل هـذا هناك مولاىَ أصل
واحـدٌ يجمعُ الرجالَ وفصلُ
عَرَبٌ كلُنا ومنطقنا الفُصحى
وآباؤنا نِزارٌ وذُهـلُ

محمد بك للجند :

ما صنعتم بسيفه ؟

احد الجند : هو عندى

محمد بك : هاته فهو محرّمٌ لا يَحِلُّ

« ويناوله السيف :

خذ تقلّد والله ليس لهذا الظفر الا يدَ الهصور محلُّ

أنتَ خلٌّ للبائسينَ وفيٌّ وهو أيضاً لهم صديقٌ وخِلُّ

ضاهر . لستُ أنسى لسيدى الفضلَ ما عشتُ

محمد بك . وهل فى رعايةِ الحق فضـــل

قد رددْنَا على السموءلِ سيفاً

كان دونَ الوفاء أمسِ يُسَلُّ

ضاهر . كيف أمشى فى الشامِ أوفى سواها

ألَبسُ العزَّ حينَ جارى يَذِلُّ

ذاك سيفى فأينَ اكرامُ ضيفى

مالىَ اليوم غير ضيفىَ شغلُ

محمد بك : مَنْ علىٌّ ؟

ضاهر : أجل ومن كعلىٍّ ملكٌ مالَه على الأرض مثلُ
سيدى قيلَ فى خـــلالكَ برٌّ
ليس يُحصَى وفى سجاياكَ نَبْلُ
قد تركتُ الأميرَ فى شدةِ الكربِ وغادرتُ جمعنا وهو فَلُّ
ما الذى أنتَ صـــانعٌ بعلىٍّ ؟

محمد بك : غايةُ الخيرِ فهو للخيرِ أهـــلُ
هو فى قصرِهِ كأمسِ المفدّى
بينَ أولاده الأميرُ الأجـــلُ

ضاهر : أسرونى ولو بقيتُ طليقاً

محمد بك : ما الذى كنتَ صانعاً

ضاهر : كنتَ تبلو
كيف أبنى اللواءَ حولَ حليفى
وأرمُّ الصفوفَ إذ تضمحِلُّ

محمد بك . بل ستبقى بمصر ضيفاً علينا
مصرُ دارٌ للأكرمينَ وأهل

ظاهر : ورجالى

محمد بك : سيلحقونك فيها لك عندى والمشيرة نُزْلُ

ظاهر لنفسه :

ذلك الغـــدرُ والمماليك فيهم
من قديم الزمانِ غـدرٌ وختْلُ

« يشير محمد بك الى جماعة من رجاله فيخرجون بظاهر »

« يقبل مراد بك فى جماعة من الجند »

محمد بك: ما أرى ؟ ما ترونَ ؟

أحد الحاضرين : هذا مرادُ

محمد بك : هو ذا جرّ ذيله إذلالا

مراد بك: التحياتُ للأمير

محمد بك : مرادُ مرحباً مرحبا تعالَ تعالا

مراد بك: ألفَ بشرى مولاى

محمد بك : أهلا وسهلا أدنُ منّى أعانق الرئبالا

« يعانقه »

مرادبك : قـد بلغتَ الآمالَ

محمدبك : لم لا وما علّقتُ الا بسيفكَ الآمالا

كيف كان القتالُ ؟ أينَ ؟ تركتَ الجيش

مرادبك : خلفي مُظفراً مختالا

بعد حينٍ يَمُرُّ من ههنا الجيشُ على سيدى رِعالا رعالا

محمدبك : وعلىٌّ ؟

مرادبك: تركتُه فى يدِ الأسينَ قـد ناءَ بالجراح ثقالا

بعد حينٍ يأتى به الجُندُ محمولا مُسجًّى اذا استطاعَ انتقالا

« جماعة من الجند يتقنون خارج السرادق »

سـلمت يا أبا الدهَبْ وعشتَ تُعطى وتَهَبْ

أخجلَ جودُك السُّحُبْ

« يخرج محمد بك فى جماعته لتحيتهم »

« فى هذه الاثناء يتقدم مصطفى اليسرجى جريحا من مراد بك زاحفا على الارض »

مرادبك: يا لعجائب الحياة ما أرى هذا اليسرجى

مصطفى اليسرجى : اليسرجى مصطفى

مرادبك: أنتَ الذى برزتَ لى من ساعةٍ

مصطفى : أجل لألقىَ من حُسامِك الرَدى

مرادبك: لقد جُرحتَ من يدى لِمْ لَمْ تَمُتْ

مصطفى : إنى أحِسُّ أجلى الآن دنا

مولاىَ لا تقطع حديثى وانتظِرْ

عجائبُ الحياةِ فوقَ ما تَرَى

مرادبك: وهل عجائبُ الحياةِ غيرَ ما يجرى هنا الآن ؟

مصطفى : أجل وما جَرَى

مرادبك: فمُتْ إذن وأعفِنى

مصطفى : لا بل أقِمْ

واسمع فقد يُنجيك ما أروى هنا

مرادبك : سرٌّ ؟

مصطفى : أجلْ وقد ينالُك الأذى

من أن أموت أنا والسرُّ مَعًا

مرادبك: إذن فقم إبقَ تأخّر ساعةً قل مالديْكَ ثم مُتْ كيف تشا

مصطفى : أهكذا ربّاك جافٍ خشِنٌ من المماليكِ مُضيّعُ الوفا
ليتك عِشتَ راعياً في وطنٍ مُهذّبِ الفتيةِ صالحِ النشا

مرادبك : دَعْ الفضولَ واحترس يا مصطفى
أنتَ غبيٌّ لستَ تدرى من أنا
أما كفاكَ أمسِ أن أخرّتني أنا وقدّمتَ عليّاً فاشترى

مصطفى : أنت تُحبُّها ؟

مرادبك: أجـل

مصطفى : أنت ؟

مرادبك: أجل

مصطفى : حَذارِ يا مرادُ من هذا الهوَى

مراد بك مضطربا :
ولِمْ ؟ وما آمالُ ؟ أهْىَ من دمِى ؟ أم هى لحمى

مصطفى : هى والله هُمَا

مرادبك: أختي ؟

مصطفى : أجل أختك

مرادبك: يالى ولها من هول ما كنت عليه مُقدما

مصطفى : مرادُ أنتَ فى صعيدٍ واحدٍ
ضربتَ بالسيفِ المُربّى والأبَا

مرادبك: ومن أبوها وأبى أنت؟

مصطفى : أجل أنا الذى باعَ الفتاةَ والفتَى
أنا الشقىُّ بائعُ ابنيه

مرادبك: أبى مابعتنا الالنُدركَ الغِنَى

مصطفى : مرادُ أدركنى

مرادبك: فداك يا أبى
رُوحى وإن قلّت لك الروحُ فدَى

مصطفى : انظر مرادُ أنا فى النزعِ وما يُغنى المُفدُّون اذا النزعُ أتى
سُقتُ لك الرقَّ وسقتَ الموتَ لى
والرقُّ والموتُ على حَدٍ سَوا

مرادبك: أعفُ أبى عنى أتعفو يا أبى ؟

مصطفى : القلبُ عنك وعن السيفِ عَفَا
بل اعفُ أنتَ يا مراد عن أبٍ
باعَكَ طفلاً كبديعة الدُمَى

مارحِمَ الدمعَ بعينيكَ ولا رقَّ لذاك البُكى ولا رثى

مراد بك: وآ اســـــفي وآ اندمي أبي عليك هل غُمِي

أفق أبي تكلَّم

مصطفى: مرادُ لا يقوى فَمِي

« ويموت مصطفى »

مراد بك: ماتَ انتهى ربِّ ارحم

« مراد بك يلقي عليه عباءته ويركع باكياً »

تدخل آمال فيلمحها مراد بك ويقول لنفسه :

آمال اختيا أجل أجلْ هيا

لأكفينّهـــا تلك الضواريا

آمال لنفسها :

مالَه مضطرباً يرمقُني بالرضا حيناً وحيناً بالغضبْ

مابه ؟

مراد بك: آمال

آمال : مهلا سيدي ادعُني حينَ تُنادي باللقبْ

مراد بك: اسمعي آمالُ أختي

آمال لنفسها : أختُه ؟

ردّ من أينَ متى هذا النسبْ

ثم لمراد بك :

كيفَ من نبّاكَ

مراد بك: نبّاني أبي أنّنا يا أختُ من امٍّ وأبْ

آمال : وأبي؟ أينَ أبي؟

مراد بك: أين مضى ؟ هو هذا جثّةً

آمال : مات أبي

مراد بك: احملي الجثّةَ يا أختُ معي هيّ نحجبُها هلمّي نحجبِ

آمال بعد أن تقف أمام الجثة وتتأملها :

حنانيكَ ربّي أبي رمةٌ يمرُّ عليها الترابُ الخشِنْ

أبي كيفَ صرتَ وراء الترابِ

الى جسدٍ بالبلى مرتهنْ

أبي ما لأذنِكَ قد أبطأتْ وكنتَ الىَّ سريعَ الأذُنْ

ومابالُ حظّى منك الصدود وكان نصيبى اللقاء الحسَنْ
وأين يدٌ سمحةٌ طالما مسحتَ بها عبراتِ الهُتُنْ
أحقٌّ أبى دهمتْكَ المنونْ
أجل وجَرَتْ فيك كبرى السُنَنْ
ذهبتَ كما ذهبَ الأولون قتيلَ الحياةِ جريحَ الزَّمَنْ

مرادُ أخى

مرادبك: أختُ لا تحزنى فماذا يَرُدُّ البكا والحزَنْ
آمال : أحقٌّ أخى انه قد قضى وأنا فقدنا الذرا والرُكُنْ
قضَى فى معاركَ لم يجنِها
غريبَ الترابِ غريبَ الوطَنْ

ثم مخاطبة الجثة :

تمنّيت أنى أقيكَ الردَى بنفسى ومن يدفعُ الموتَ عَنْ
وأجعل غسلَكَ ماء الشُئونِ
وأصنعُ من هُدبِ عينى الكفن
واختطّ بين حنايا الضلوعِ صيوانًا ولحداً لهذا البدَنْ

جُعلتُ الفدا لكَ مما دهاكَ وممَّنْ رماكَ وممَّن طعَنْ

وليتَ جراحُك بى يا أبى

مراد بك: رويدَكِ أختُ أقلِى الشجن

ولا تُكثِرى حسرات الصديق

ولا تُشمِتِى الكاشِحَ المضطغِنْ

آمال : وكيفَ مرادُ وهذا أبوكَ لقىَّ فى التراب كأن لم يكن

« يخرج مراد بك وآمال بالجثة »

« يؤتى بعلى بك مجروحاً محمولا على سرير من جريد فيوضع فى ناحية من الساحة »

على بك لنفسه :

ويحى تفرّقَ عسكرى وخيامى

وطوَى الزمانُ وريْبُه أعلامى

أحتالُ والأحداثُ تُفسِدُ حيلتى

وأرومُ والأيامُ دون مرامى

لما طوَتْ مُلكَ الكنانةِ راحتى

لم يكفِنى فطلبتُ مُلكَ الشام

صيّرتُ حربَ الترك وجهَ سياستي
حتى اقتنيتُ عداوة الأقوامِ
وكفرتُ أحسانَ الذينَ خدمْتُهم
حتى تجرّأ خادمي وغلامي
في الطابقِ مالَ صرحُ مطامعي
وكذاك ركنُ بنايةِ الأوهام
النصرُ غابَ وكان طافَ برايتي
حيناً وحام على شباةِ حسامي
وحُملت في سُرُرِ الجريدِ ببلدةٍ
وَطئتْ جواهرَ عرشِها أقدامي
قد عشتُ بالدنيا المريضةِ حالماً
حتى انتبهتُ فلم أجد أحلامي
دنيا أردتُ من العروش حُطَامَها
جعلتْ سرير القشّ كلَّ حُطامي

بالأمس جللتُ التراب مواكبي

واليومَ لا خلفي ولا قدامي

اليومُ أرسفُ في دمي وجراحتي

وغداً أجرُّ منيتي وحمامي

أنا قد جعلتُ الغرَّ مهبطَ نعمتي

وخصصتُهم بمنازلِ الاكرام

فلُدغتُ من صلبيّن منهم عقّني

هذا وذاك أضاعَ حقَّ زمامي

وتتابعَ الأمراء في أثريهما

يستمرؤونَ عداوتي وخصامي

يقبل محمد بك ابو الدهب في حاشيته :

محمد بك ابو الدهب :

يا ويحَ لي ماذا أرى هذا أبي وسيدي

سيلمُ المُغري به كيفَ عقابي في غدِ

ويتظاهر بالاسف ويتقدم للاقاة الجريح :

محمد بك ابو الدهب :

يا أسفا على عليّ يا أسفَا على أبي وسيدي ومَولَى
يا أسفا على الكريم المُفضِلِ

أحد البكوات همساً :

ماذا يقولُ ؟ سيّدُه شَلَّتْ يده شلَّت يدُه

على بك لمحمد بك :

محمد اسمعْ مرادُ غادرْ
اقض عليه وأنتَ قادرْ

محمد بك : لا بل تعيشُ سيدى وبيديْكَ تقتُلُه

محمد بك : سيدى انسَ اليوم وافكر فى غدٍ

على بك : ليسَ للمغلوبِ غيرَ الذلّ غَدْ

محمد بك : بل غدًا تبرأ من جُرحك

على بك: لا قلّما قام من الجُرحِ الأسَدْ

أحد الحاضرين همساً لآخر :

الذئبُ جرّبَ فى المُربى ظُفرَه فأصابَه
لا تحوِ دارك أرقما حتى تُحَطِّمَ نابَه

obeikandl.com

obeikandl.com

محمد بك لعلى بك :

أبى وأميرى كفى سوء ظنّ

على بك : محمدُ نَلْ كلَّ ما شئتَ منّي

ومالى ألومُكَ والسُّمُّ فيّ

أخذتَ الخيانةَ والغدرَ عنّي

« محمد بك يبتعد فى حاشيته فيختلط بالامراء الاخرين »

على بك وقد لمح آمال ومراد بك قادمين :

أرى ويحَ لى ماذا أرى ؟

توالتْ جراحاتى وطالَ عذابى

مرادٌ وآمالٌ . عدوّى وزوجتى

فيا زمنى هل من جديدِ مُصابِ

يُعذبُنى يا ربِ أنى أراهما

قد اختلطا من جَيْئةٍ وذهابِ

إذن هى تهوى النذلَ وهو يُحبُّها

إذن ليسَ ما خُبرتُه بكذابِ

إذن فرادٌ لم يَثِبْ بيَ وحدَه

ولم يقتحم ستري ويَسطُ ببابي

ولكن أعارته الخبيثةُ نابها وما في ذراها من نقيعِ لُعابِ

أجلْ هدمَا عُشّي معًا وتعاونا

على ثَلِمِ محرابي وهتكِ حجابي

آمال لنفسها :

ألهى أعنْ زوجي وبُلَّ جراحَه

فما بالُه مستوفزاً لعتابي

رماني بعينٍ قُلّبتْ عن كراهةٍ

وعن نظراتٍ كالشرارِ غضابِ

تُرى ظنّ بي سوءًا تُرَى ارتابَ في أخي

ففكّرَ في جرمي وكيفَ عقابي

له العُذرُ في حالٍ أضاعَتْ صوابَه

فاني أنا الأُخرى أضعتُ صوابي

وتتقدم من على بك :

سيدى مولاى

على بك : مَنْ ؟ أنتِ ؟

آمال : أجل

على بك : أُعزبى عَنّي خـــــلّينى أعزُبى
الأقاويلُ إذن صادقةٌ الرواياتُ إذن لم تَكذِب

آمال : ما أذاعوا سيدى ما نقلوا ؟

على بك : خـــــبّرونى امرأتى تعبَثُ بى

آمال : مع مَنْ أعبثُ مَعْ هذا الفتَى ؟
مع شـــــقيقى وابنِ أمى وأبى

على بك لمراد بك :

مرادُ

مرادبك: مولاىَ

على بك : اعزُبِ لا بل تعالَ اقتربِ

مرادبك : أبى

على بك : سؤالٌ يا فتَى أصغِ الىَّ أجبِ
مرادُ كنتَ لاترَى غيرى فما غرّكَ بى

أنتَ الذى اشتريتهُ بفضتى وذهبى
ولم اقصّر معه عن واجب المؤدّب

مرادبك : مولاىَ خلّنى إلى ضميرىَ المُعذّب
أعفُ فأنتَ أهلهُ هبْ لى جرائمى هب

على بك : مرادُ

مرادبك : مُرْ

على بك : أوصيك خيراً بالملاكِ الطيّبِ
أمّا تراها أصبحتْ من غير زوجٍ وأبِ

ثم مستمراً : مرادُ بنىّ أصِخْ أصْغِ لى تعلّم من الذاهبين استفِدْ
مرادبك : تكلّم أبى هاتِ قل سيدى وبيّن كدأبك سُبلَ الرشَدْ
على بك : بناء المماليك واهى الاساس وسلطانهم مُضمحلٌّ العَمَدْ

وضيعتهم بعد طولِ الآباءِ عوى الذئب فيها وصاح الاسد
اذا فَسَدَ الخُلْقُ فى أمةٍ فقل كلُّ شىءٍ لهم قد فَسَدْ
وصاحبُكم ذهبتْ نفسهُ فكلُّ عنايتهِ بالجَسَدْ
يحبُّ النساءَ ويهوى الطعام ويبنى القصورَ ويُغنى الولد
بفضل التعاونِ سُدنا البلادَ ولولا تعاوُنُنا لم نَسُدْ

اذا قام بانٍ الى غايةٍ تعثر بالهادم المجتهد
وأُولعَ بالعُصبةِ العاملينَ رجالٌ كسالى مُنوَ بالحَسَد
فلم يَرَ واحدُهم همةً وفضلا لآخرَ الاحقَد
يميناً مرادُ لما فى البلاد سواكَ يليقُ لحكمِ البلد
يَلُمُّ المماليكَ من فرقةٍ ويوقظُ من حزمِهم مارَقَدْ
ويُرجعُ للطاعةِ المارقينَ ويكسرُ من شرّةِ المستبد
فثِبْ بالغبيّ غداً ثِبْ به وقم أنتَ فاحم الحمى بعد غدْ

« ويغمى عليه »

مرادبك : ويحَ المجدِ حلّ بالماجـــدِ المو
تُ وأخنى على الكريمِ الحمامُ
رحمتاهُ له مضى وتولّى واستردت جمالَها الأيامُ

آمال : مات لا يا مرادُ قل هو حيٌّ
قل أخى تلك ضُجعـــةٌ ومنامُ
فرحى يا عليُّ ما أنتَ راءٍ مأتمٌ بين ناظريكَ يقامُ
فرحى مثلُ يومِ نحرٍ عليه من دمِ البر لحةٌ وابتسامُ
ضحّتْ الحادثاتُ فيه بكبشٍ
فجعَ الشرقُ فيه والاســـلام

قد أُصبنا من العيونِ كلانا　　أدركتني وأدركتك السهامُ

أحد البكوات لآخر:

أرأيتُ أسمعتُم جرأةً　　تلك ياويحَ مرادٍ ويحَ له
ما له استهتر في موقفه　　ومضى يفعلُ فعلَ السَفِلَه
انظروا فهو عليها مُقبلٌ　　وهي بالسمع اليه مُقبله
تركا المقتولَ لم يكترثا　　لدمٍ من حوله قد جلّله
أتُرى يطمع أن يخلفه　　وهي هل تطلبُ زوجًا بدله

آمال وتلتفت حولها :

مرادُ أخي

مرادبك: لبيْك آمالُ

آمال : مالَنَا رمتْنَا عيونُ القومِ من كلّ جانبِ
وإني لثكلى مرّتَيْنِ وما دَرَوْا
تولّى أبي عنّي ولم يبقَ صاحبي

مرادبك : كذاكَ فضولُ الناسِ شُغلٌ بحاضرٍ
كما قد شغلناهم وشُغلٌ بغائبِ
ومن ألسُنٍ تجري بسوءٍ وهمّها
فوائدُ عند الغيرِ أو في مصائبِ

آمال : صدقتَ مرادُ انظر تأمل فضولَهم

لقد رمقونا بالعيونِ الشواغبِ

يرَوْنَ عجيباً أننـــا ههنا معًا

وأنك تمشي يا أمـــيرُ بجانبي

احد البكوات يتقدم :

مرادُ من الحسناء

مرادبك : ما أنتَ ما الذي

يهمُّك من أمرِ الحِسان الكواعبِ

« ثم لآمال :

أأبصرتِ يا أختُ الفضولىّ

البك لنفسه : أختُه عجيبٌ فلم نعلَم له من أقاربِ

« لمراد بك وأينَ تُرَى كانت ومن ذا أتى بها ؟

روايةُ غاوٍ أو مقـــالةُ كاذبِ

« مراد بك يهم ويلطمه بيده لطمه شديده »

آمال لمراد بك :

ترفَّق أخي سامحهُ

البك لنفسه : تدعوه يا أخي اذن لم يكُن فيما رواه بلاعبِ

مرادبك: تعلَّم إذن أن الفضولَ وقاحـــةٌ
وأن عقابي عنك ليسَ بعازبِ

البك : وأنتَ تعلّم أن سيفي منيّةٌ وغدارتي محشوّةٌ بالمعاطبِ

مرادبك: وقوسُك

البك : قوسي ليسَ يُخطئُ سهمها

مرادبك: ويحُكَ

البك : مثلُ الأفعوانِ المواثبِ

مرادبك: وقلبُكَ إني لا أرى القلبَ حاضرًا على أنه أمضى سلاحِ المحاربِ
وإلا فذا صدري فضَعْ فيه ما تشا
وسـدد إليه ماضياتِ المضاربِ

البك : وكيف اجترأتَ سيدي وابنَ سيدي
معاذاً أياديـــكم معاذ المواهبِ

مرادبك : إذنْ خلِّ شـأنينَا ولا تشتغلْ بنا
وطِرْ في فضاءِ الأرضِ ذاتِ المناكبِ

آمال : مرادُ أخي

مرادبك: آمالُ هذا محمدٌ
يـلاحظنا في الجمعِ لحظَ المراقبِ

ولا بدّ من إنباءه بالذى جرَى

آمال : وما ضرّ سرّ قابلهُ كلّه خاطب

محمد بك يقترب ويقول :

مراد أرى شَغْبًا واسمع ضجّةً

بُنىّ أهذا موضعٌ للتصاخبِ

ونحنُ على موت وحولَ جنازةٍ

وفى مأتمٍ فخمٍ وشيكِ المواكبِ

مراد .

مرادبك : أميرى

محمدبك : تلكَ واللهِ ريبة

مرادبك: تفضّل أميرى واستمع ثم عاتبِ

محمدبك : أمَا هذه عُرسِ الكبير فما أتى بها ههنا بين ازدحام المناكبِ

مرادبك: بلى يا أميرى وهى أختىَ

محمدبك : أختهُ حنانيكَ ربّ تلك احدى العجائبِ

مرادبك : أجل سيدى أختى اجتمعنا من النوَى

على قدرٍ من صنعةِ اللهِ غالبِ

ولم ندر قبـــلَ اليوم أنا قرابةٌ
وأنا التقينْـا فى كريم المنـاصب

محمد بك : ومن قال للصنوينِ هـذا

مراد بك: أبوهما

محمد بك : وما هو مَنْ ؟

مراد بك: بعضُ التجار الجوالبِ

محمد بك : وأينَ فأدعـوه فأعلى محـلّه
وارفعهُ وابنيْهِ فوقَ الكواكبِ

مراد بك: تعيشُ وتبـقى مات

محمد بك : مات أبوكما

مراد بك: أجلْ هو ذا يَدمِى وراءَ العصائبِ

محمد بك : جريحٌ ؟

مراد بك: أجل لكن قضَى من جراحِه

محمد بك : قتيلٌ ؟

مراد بك: أجـل ثاوٍ وراءَ السباسبِ

محمد بك : وما تصنعان الآن

مرادبك: ما أنتَ آمِرٌ

محمدبك: هنالِكَ حراسِي وثَمَّ ركائبي

فخذها الى القُسطاط حتى تجى بها

الى قصرِها محفوفةً بالرغائبِ

وبعد غير تجرى على القصر نعمتى

ويأتيه برِّى كالغيوثِ السواكبِ

آمال وهى منصرفة:

وَداعاً أبى

محمدبك: صبراً جميلا أميرتى

ولا تفعلى فعل البواكِى النوادبِ

آمال: عفا اللهُ عنه كان شيخاً مصلِّياً

محبَّ اليتامى راغباً فى المثاوب

لقد طلب الدنيا بمصرٍ فنالَها

فولَّى الى الأُخرى وجوهَ المطالبِ

« ستار »